مجلة الأزهر

المجلد التاسع عشر

مدير المجلة
ورئيس تحريرها
محمد فريد وجدي بك

سكرتير تحرير المجلة
الدكتور محمد عبد الله ماضي
الأستاذ بكلية أصول الدين

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاشتراك السنوى { ٤٠ لأبناء السودان
٥٠ لغير القطر المصرى

ثمن العدد ٤٠ مليما

الادارة المحررة : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مطبعة الأزهر
١٩٤٧

المحرم سنة ١٣٦٧ المجلد التاسع عشر

٨٠

مجلة الأزهر



بادشاه زاده سیوالی
منگوره سوات

تصدر شهريا عن مشيخة الجامع الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة التاسعة عشرة لمجلة الأزهر

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وتنال الدرجات ، وتذلل العقبات . والصلاة والسلام على محمد رسول الحق الى العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين ، صلاة وسلاما دائمين أبد الآبدين .

وبعد ، فإننا نقدم لقراء مجلة الأزهر العدد الأول من سنتها التاسعة عشرة ، شاكرين لله على ما أسدانا من معونته ، وسدد خطواتنا فى خدمة دينه ونشر حكمته ، راجين أن يوالينا هذا التوفيق فى عملنا ، لنبلغ به إلى أسمى ما قدر له من كمال ، وأشرف ما نتوجه إليه من مآل .

ولا معدى لنا فى هذا المقام من الإشادة بذكر ما يحوطنا به حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول من ضروب التشجيع ، وما يتولانا به من الرعاية والتأييد ، أعز الله به هذا الدين ، كما أعزه بسميه العظيم ، مؤسس الامبراطورية الاسلامية عمر بن الخطاب ، ومد الله فى عمره المبارك حتى يرى ثمرات جهوده دانية القطوف ، ونتائج توجيهاته الاصلاحية مضرب الأمثال ، ومحققه للشرق جميع الآمال .

وقد وافق أول السنة الهجرية الجديدة (١٣٦٧) يوم جمعة ، فاتجهت الرغبة السنية لتأدية فريضة الجمعة بالجامع الازهر ، فاحتشد فيه حضرات العلماء الأعلام وكبار رجال القصر والوزراء والوجهاء ، وبعد أداء الصلاة نهض حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الجامع الأزهر ، فألقى كلمة بليغة فى تاريخ الهجرة النبوية ، ألم بجميع ما جرياتها فى عبارة مختارة ، وبيان قيم ، وقعت من السامعين أرفع موقع ، وتعالت الهتافات بحياة حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، فزادت الاحتفال جلالا .

وسننشر الخطابة الجليلة لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر فى العدد المقبل من هذه المجلة إفادة لقرائها فى سائر البلاد الإسلامية .

الرسالة الملكية السامية

فى عيد الهجرة النبوية

تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فوجه الرسالة الملكية السامية الآتية الى الشعب المصرى وإلى الشعوب العربية والإسلامية بمناسبة عيد رأس السنة الهجرية . وقد أذيعت هذه الرسالة السامية فى الساعة التاسعة والنصف من صباح العام الجديد ثم أعيدت إذاعتها فى المساء مرتين وهذا نصها :

شعبى العزيز :

فى هذه الذكرى العزيزة ، ذكرى الهجرة النبوية الكريمة ، أبعث إلى شعبى المحبوب ، وإلى الشعوب العربية الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها ، بأصدق التهنئة ، راجيا لهم جميعا عزا ونصرا ، وسؤددا ومجدا .

وأحيى فى هذا اليوم المبارك ، يوم إشراق العزة النبوية ، ونشر مبادئ السلام والانسانية ، فلسطين الباسلة ، التى أجمعت الشعوب العربية على استخلاص حقوقها ، وكفالة العزة والحرية لأفرادها .

شعبى العزيز :

إن فى الحوادث بعض التجارب القاسية التى تمر بالأمم ، وبلادنا تمر الآن بمحنة أليمة ، فقد أصيبت مصر العزيزة بوباء لا يرحم .

وإني أشارك شعبي فيما أصابه من بأساء ، وما نزل به من ضراء ، وأسأل الله أن يلطف به ، فيما جرى به قضاؤه .

لقد قضى هـذا الوباء على كثيرين ، وإن قلبي ليفيض بالحزن على هـؤلاء المنكوبين ، وأعزي أسرهم وأهليهم فيهم ، وأهيب بالموسرين منا أن يذكروا آلام الفقـراء والمعوزين ، وحاجات الضعفاء والمحتاجين ، وينفقوا مما يحبون حتى ينالوا بر الله وثوابه ، وإحسانه ورضوانه .

وإني لأتوجه بفيض من الشكر وعرفان الجميل ، إلى الدول العربية الشقيقة ، وإلى جميع الشعوب والحـكومات التي آزرتنا في محنتنا .

ومصر ، وهي ترقب في أمل وطيد ، ورجاء أكيد ، قرب اقتصارها على هذا العدو ، ستذكر بأحر أثر هذه المساعدات في نجاتها من هذه الكارثة .

شعبي العزيز :

تعود ذكرى الهجرة النبوية ، وفي عودها تنبيه وتذكير . ومن الحق علينا أن نعتبر بها ، ونقتدي بسيرة صاحبها ، التي تملأ النفوس إيماناً بعظمة الرسول ورسالته ، وتحفزها الى الاهتداء بهديه وسنته .

والشعوب العـربية أحوج ما يكونون الى العبرة والموعظة الحسنة بهذه الذكرى ، فيما يجاهدون له ، ويناضلون في سبيله من استقلال ، وعزة وحرية .

أعاده الله علينا وعلى العالم أجمع ، عام خير ، وبركة ، واطمئنان وسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله .

العيد الكبير وحج البيت

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل

الشيخ محمود أبو العيون

سكرتير عام الأزهر

إن لله عز وجل مواسم وأعيادا تفتح فيها أبواب الخير والبركة للمسلمين في الدين والدنيا ، وتنصرف فيها النفوس وقتا من غوائل الدنيا وأعراضها ؛ لخير الإنسانية ، والعمل الصالح للبشرية .

وإن من أكبر مواسم السنة كلها ، وأعلاها شأنا ، وأجلها مكانة ، وأسماها منزلة ، عيد الأضحى المبارك ؛ فهو عيد الأعياد ، وموسم المواسم ؛ فيه تتجه القلوب إلى الله سبحانه وتعالى ، ويتقرب إليه الخيرون من عباده بأعمال الخير والبر ، وتسخو الأيدى الشحيحة بالعطاء والجود ؛ فيه تنحر الذبائح ، ويطعم الثريد ، ويطعم القريب والبعيد ؛ فهو يوم التضحية والفداء .

ويقترن بهذا الموسم موسم آخر ، هو يوم الحج الأكبر إلى البيت العتيق ، وهو أول بيت وضع للناس بمكة المكرمة ؛ فيه آيات بينات مقام إبراهيم ؛ ولم يعرف التاريخ ، ولم تهبط الأديان بعقيدة ، أو عبادة من العبادات ، فيها جماع الخير والسعادة للناس كعقيدة الحج إلى البيت الحرام .

وكانت لقريش سنن صالحة امتازوا بها عن العرب جميعا ؛ منها إقامة [illegible] ، ويطوفون حوله ، وينحرون الذبائح

وقد أسلمت قريش لعبد مناف أحد أجداد النبي سيادتها وقيادتها ، ووفادتها (١) ورفادتها (٢) ، وقام بالأمر بعده ولده هاشم ، وكان اسمه «عمرا» فسمته قريش هاشما ، لأنه هشم الثريد ، وأطعم الشعب في المجاعة حين اشتد القحط بمكة .

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وهو أول من آلف قريشا رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام ؛ ومات بمدينة غزة من أرض فلسطين .

فالحج عبادة مقدسة في الجاهلية والاسلام ، وشأنه في الاسلام جسيم وعظيم ؛ فالحجيج في الاسلام يتجردون من مظاهر الدنيا ، ومألوف عاداتهم ؛ فهم يكونون في حالة الإحرام عاطلين من كل حلية ، مجردين من كل لباس إلا ما يستر أجسادهم من غير مخيط ؛ ورءوسهم عارية ، خشيتهم من الله ظاهرة وبادية ، مهللين مكبرين ملبين : «لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك» . هنالك وفي تلك المشاهد المقدسة يؤدون شعائر الله ؛ وهنالك تتصل أرواحهم الصافية بالملأ الأعلى ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ؛ وهنالك يجتمع المسلمون أبيضهم وأحمرهم ، ملكهم وسوقيهم ، فقيرهم وغنيهم ، في صعيد واحد ، متجهين إلى قبلة واحدة ، ضارعين إلى إله واحد في خشوع واطمئنان ؛ وهنالك يجتمع عشرات الآلاف من المسلمين حول البيت وفي عرفات مهبط التجليات والرحمات ، متعارفين متواصلين ، متوادين متراحمين ، يضمهم الاسلام ، وتجمعهم عقدة التوحيد ، والتصديق بالرسول : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

والسر الذي يهدف اليه الاسلام في اجتماع المسلمين من أصقاع الأرض وأقطارها في صعيد واحد ، إنما هو التعارف فيما بينهم ، وتوثيق الصلات والروابط بين عصبياتهم ، وتبادل الآراء فيما يختلف من شئونهم وأعمالهم .

---

(١) الوفادة : نزول الوفد على الملك .

فالاسلام فى ذلك الاجتماع الذى هو أشبه بمؤتمر عام ، يشهد فيه المسلمون منافعهم ، ويذكرون اسم الله ، يقصد الى غرض نبيل شريف ، هو إيجاد عصبية إسلامية قوية ، متجانسة الآراء والأغراض ، متماثلة المقاصد والأفهام والآمال ، عاملة على تقوية الشعوبية القومية الاسلامية ؛ وكل شعب عضو فى تلك الجماعة إذا ضيم هب الكل لنصرته ، والأخذ بثأرته ؛ وفى ذلك يكون المسلمون كما قال المعصوم ـ عليه الصلاة والسلام ـ كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

كذلك كان المسلمون من قبل فى حجهم واعتمارهم ، وكذلك كانوا فى غير حجهم وفى غير اعتمارهم ؛ كان ينزل القحط فى الحجاز ، فتسارع مصر الى نجدة إخوانهم فى الحجاز ؛ وكان يقع الضيم على المسلمين فى العراق ، فيهب المسلمون فى الشام الى نجدة إخوانهم فى العراق ؛ فهل تبدل الحال وتغير ؟ نعم قد صار المسلمون فى أقطار الأرض بددا ، وتفرقوا فيما بينهم أيدى سبا ، لا تجمعهم جامعة ، ولا تربطهم رابطة ، ولا تضمهم وحدة :

المسلمون ـ فدتك نفسى ـ أمة ... مثلوا بصالح الخافقين عديد
لكنهم جار الزمان عليهمو ... فهم ما تراهم أنفس وجهود

كل ذلك قد وقع ، وبذلك تمزقت الرقعة الاسلامية ، وذهبت قوة المسلمين ، فانطفأت شعلة العرفان والنور فى الربوع الاسلامية ، وأخمدت جذوة الحمية والغيرة الدينية فى الأقوام ، وانحرف ظل الطمأنينة عن كل ربوع المملكة يتمتع فيه المسلمون وغير المسلمين بجمال الدين ، وسماحة الشريعة الغراء فى رواق الأمن والسلام . زال كل ذلك واندثر ، ولفت آثاره ، ودرست معالمه ، وأصبح تاريخا يقرؤه الناس للعظة والاعتبار .

ولكن هل آن الأوان لأن يستشعر المسلمون هذا الخذلان والانحلال ؟ هل آن الأوان لأن يصحو الرجل المريض ، وأن يدرك الخربة ، ويبصر النور ، وأن يفهم وصايا الدين ويعمل بها ، وأن يعلم أن الاستدامة للانحلال والضعف ، والفرقة والجهل ، خسران فى الدنيا ، وعذاب مقيم فى الآخرة ؟ !

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

القصص في

القرآن خاتمة الكتب الإلهية
مرشدين ، هداية للعالمين .

ولما كانت هذه الهداية لتشمل
الحاجتين الروحية والعقلية ، نزل القر
الهداية على نوعيها مقترنة بـ
والعقل ، لكيلا يجيء
تترك هداية القرآن والتعويل على
نصوص الكتاب ، ينتهي أن
القرآن ، وانفرد دون سائر الكت
الكتب الإلهية ، أبقى على
الأبدية ، وإلى أي حد وصلوا من الغلو

ونحن قبل أن نصل إلى موضوعنا
نكون حوافظ للعلماء والمتعلمين أن
عليهم من التورط في هذه الفتنة

من تلك الحوافظ قوله تعالى
سؤال بعضهم عن ماهية الروح
أن ما وصل إليه من العلم لا يوصله
لا يتعجل في الحكم حتى لا يقع في
ومنها قوله تعالى : سأريكم آياتي
في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين
لهم أنه الحق
ومنها قوله تعالى : وفوق كل
يظاهرون من كبريائهم ، ويحسدون من
الناقدين ، وتقويم الدارسين
ومنها قوله تعالى : قل هاتوا
صريح بأن كل قول يجب أن يكون

... هذا الدليل ، وإلا رد عليه ما يقول ...
... من علم ، إن هم إلا يظنون ... وفي آية
... ، وفيه تصريح بأن كل مدل برأي
... له هنا وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ،
... ي وصمه العلامة (بيكون) الانجليزي
... به في التاريخ .
... عليك الكتاب منه آيات محكمات من
... ين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
... ه إلا الله ، والراسخون في العلم
... يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب » ، وهذا نص
... متشابهة ، أي يدق إدراكها ، وتتحالف
... ثم فإنه ينهى المؤمنين عن الاشتغال
... بما قصدهم إثارة الفتنة أو تأويلها .
... يكون من العلم بأن يقولوا آمنا به ،
... ما ندري ما ينطوي عليه هذا الموقف

... بعد أنها جد معقولة ، فان في الكتب
... منه من الآداب الكريمة ، أو الصفات
... جمعة يجب أن يتزود بها الناس استكمالا
... لمعارج الخيرة لا يدركها على حقيقتها
... ، ولعموا فيما وقعت فيه الأمم السالفة
... فيها فأصبحوا أشيعا لا يجمعهم جامعة .
... أنه عامة الكتب السماوية تنهى من
... ون إليهم ، وعن الآيات التي يزعمون
... الأخبار والآيات مما لا يدركه العقل و
... به الناهية ، ولم يذكرها التاريخ أيضا ،
... تخلص من سلطانها ، داعين الى التأمل

أن يعدو حيرة ... ونفروا من ...
الناس منه على جلالة قدره، لا ...
واحت أو بضعة قرون، تقلبوا من ...
الأمر الأوربي الذي كان قبل قرن واحد ...
الآخرة فلم يعد أكثر شهرة ...
... وتقلبنا بعد الغروب حتى ...
... وأسباب ما ...

... من صفحات الخريف ...
... إلى ...
... ما ...
... ولكن ...
... الكتب ...
... ما ...
... الأدب ...
... الشعر ...
... التي ...
... والنفس ...
... الحضارة ...
... من الفضائل ...
... النعمة التي كان لها الفضل ...
وترجيه القلوب إلى المثل العليا من ...

وجاءت الأجيال الحديثة فرات نفسها من أخبار الأمم حيال تاريخ وميتولوجيا ، ودربت على أن تعتبر الأول خلاصة ممحصة من حوادث الشعوب الماضية ، وأن الثانية حكايات خيالية تنزلت من عقول ساذجة ، اخترعها لها رجال مدلسون . فألفوا أنفسهم متحللين من كل ما حمّل الأقدمون أنفسهم من تكاليف عقيدية ، وتقاليد وهمية ، معتبرين كل ما يوجد فى تاريخ الأديان وكتبها المقدسة من أخبار وحوادث وانقلابات لا تتفق والتاريخ المبتور ، خرافات لا أصل لها فى الواقع .

فهل بعد هذا البيان يسوغ لانسان أن يقول إن حادثة بعينها أو حوادث من قبيلها تتصل بالدين ، خرافات لا أصل لها فى الماجريات البشرية ؟

وهل بعد أن أعلن أحلاء العلماء الماديين فى أوروبا من أمثال وليم كروكس مكتشف إشعاع المادة ، وروسل ولاس نديد دارون ، وسيزار لو مبروزو واضع علم الأسباب الفسيولوجية للجرائم ، ووليم جيمس البسيكولوجى الأمريكى الأكبر ، وشرلت وترنج مدرس علم النفس بجامعة برلين ، الى مالا يحصى من أمثال هؤلاء ، قلنا هل بعد أن أعلن هؤلاء على رءوس الأشهاد وفى القرن العشرين أنهم [illegible] ما فوق الطبيعة ، وأنهم يتحدثون مع كائناته ، وأن هذه [illegible] أمامهم وتكلمهم ، وتحدث أمامهم من خوارق العوائد [illegible] العقل ؛ قلنا هل بعد هذا يسوغ لعاقل أن ينكر المعجزات التى [illegible] فى دعواتهم الدينية ، باعتبار أنها تناقض العلم ، وتخالف [illegible] ، ويعتبر كل قصص ورد عن مثل هذه الأمور فى الكتب [illegible] التى لا أساس لها من التاريخ ؟ أى تاريخ بشرى [illegible] من أخبار الانسانية ، وهو قائم على اعتبار [illegible] والحياة الأخروية ، والأرواح العلوية [illegible] مع ذلك أن كل ما يروى عنها ، ويناقض العلم الذى [illegible] فى معلوماته المحدودة ، يجب أن يحسب من الأقاصيص الخرافية ؟!

نعم إن الحوادث التى ساحبت رسالات الرسل دخل فيها كثير من المبالغات ، ولكن هذه المبالغات سمات يُهتدى بها اليها ، فكان الموافق للعقل والعلم لدى العالمين معا فى القرن العشرين ، وشهدوا الفتوحات العلمية الحديثة من تفتيت الذرة واحالتها الى أصلها وهو القوة ، بعد أن عدها العلم مادة صلبة أكثر من

ثلاثة آلاف سنة ، ومن محاولة استخدام الأشعة الكونية لإحداث أعظم انقلاب فى حياة الانسانية. ومن إثبات العالم الروحانى عمليا . كما صرح بذلك أكابر ممثلى العلم . وهذا واحد منهم (كاميل فلامريون) أشهر علماء الفلك فى القرن العشرين يقول فى كتابه (المجهول والمسائل النفسية) :

« لقد أثبتت المشاهدات الحسية وجود عالم روحانى محقق كتحقق العالم المادى المدرك بحواسنا الخمس»

هذه مقدمة نذكرها بين يدى كلمة نريد أن نقولها عن القصص فى القرآن الكريم :

نوه الكتاب الكريم بأمم ماضية ورسالين ، وقص من أخبارها وأخبارهم ما فيه موعظة للتالين والسامعين ، فلاحظ بعض المستشرقين ، وكلهم من غلاة الماديين ، أن من هذا القصص ما لم يرد فى التاريخ . وبعضه يعتبر من الخرافات .

وجوابنا على هذا كله ما ذكرناه من أن الذين دونوا التاريخ قد جروا فى تمحيص الحوادث على مطابقتها لأصولهم فى تقرير الحقائق ، وقد بينا لك أن من أصولهم نكران وجود خالق الكون ، واعتبار الانسانية والحياة بعد الموت من أعرق المعتقدات الخيالية ، وأشدها إضرارا بالرقى الانسانية ، وهذا ليس بمعيار صحيح لتقدير ما هو حق وما هو باطل من المأثورات العالمية كما قدمنا .

أما ما يعتبرونه فى القصص من الخرافات ، فهو لأنهم بحثوا التاريخ على ضوء المبادىء المادية البحتة التى تعتبر ، كما قلنا ، وجود الخالق والروح ، والكائنات العلوية والسفلية ، وتأثيرها فى خرق النواميس الطبيعية من الأوهام الطفلية .

فاذا كان هؤلاء المكذبون ينكرون الحركة العظيمة التى قامت فى أوروبا بين العلماء مدة مائة سنة وراء اثبات عالم ما فوق الطبيعة على مقتضى الدستور العلمى ، ويهزأون بما أدت اليه من النتائج المحسوسة فى إثبات الروح والحوادث الخارقة للنواميس الطبيعية ، والقائمون بها أئمة العلم العالمى ومدعمو أصوله ، وقد ألفوا فيها مئات من الكتب ، وأسسوا لها منلها من الجمعيات والمحلات ، وجمعوا لها محوسبة مؤتمرات عالمية فى أكبر عواصم الأرض ، ودحات دراستها فى الجامعات وجعلت لها مقاعد فيها ، ينكر هؤلاء المستشكلون هذا كله وهو قائم بين أيدينا ويهزأون به ، أفيستغرب منهم بعد هذا أن ينكروا رسالات الأنبياء وأخبار الأمم السالفة وبيننا وبينها ألوف من السنين ؟

محمد فريد وجدى

الايمان الكامل

فى نظر القرآن الكريم

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحيم المدوى

وجه القرآن الكريم دعوته الى الناس ليؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وليصلوا الى خصال البر ومكارم الأخلاق، فعززت دعوته القلوب، واستولت على الأفئدة، لما اتصل بها من حجج وما اكتنفها من براهين. على أنها فى الحق دعوة الفطرة السليمة، فلا تحتاج الى دليل عند ذوى الألباب.

والإيمان عقيدة تملأ جوانب النفس بالأمن، وتجوس خلال الجوانح، تمحو الاضطراب والشك، وتغمر الفؤاد باليقين، وتفيض على صاحبها معانى الخير، من عزة النفس ونزاهة الطبع، وتحبب إليه العدل والانصاف والاستقامة، والاعتراف بالجميل، والاعتداد بصنائع المعروف، وتوجهه وجهة الخير فى كل ما يأتى ومايدع.

فاذا تم سلطانها وقويت دعائمها فى نفس امرىء؛ فاعلم أنه وفق للسعادة وهدى الى الصراط المستقيم.

والقرآن الكريم لايعول على العقيدة المجردة فى تسمية المؤمن مؤمنا حقا، بل يطلب آثاره وثمراته؛ فهو يشترط فى المؤمنين شروطا اذا حصلوها استحقوا أن يخلع عليهم اسم الايمان، ويفرض عليهم صفات خاصة إذا حققوها صح فى نظره أن يكونوا مؤمنين.

والناظر الى هذه الصفات (صفات المؤمنين فى نظر القرآن الكريم) يجدها تتعدد وتتنوع بقدر ما بينها من فوارق وما فيها من مميزات، لكنها رغم تباينها وتعددها لا تتجاوز ثلاث صفات:

صفة يقصد بها تربية الناس وتقوية نفوسهم، وغرس الفضائل فيهم، حتى لا تهن بالتكاليف، أو تضعف عن حمل ما حملت من أمانة، فيقدمون

حينئذ على كل تضحية ، ويتفانون فى أعمال البر ، ويقفون جهودهم على سبيل الإصلاح والخير ، ويسلكون مسلك الاعتدال فى أحوالهم الخاصة والعامة .

يتحملون الشدائد ، ويتمسكون بالصبر الجميل ، فلا تزعجهم الخطوب ، ولا تلين من قناتهم النوائب .

وبالجملة هى صفات يقصد منها صياغة النفوس البشرية على سنن الفضيلة وطريق الرشاد .

والصفة الثانية من صفات المؤمنين ترجع الى سلوك الانسان الشخصى وابتغائه الخير فى خاصة نفسه ، وانتفاعه بالاستقامة فى السر والعلن ؛ فهى رقابة يقظة على المرء فى حركاته وسكناته ، وحراسة حازمة على الضمائر والنوايا ، لا يصدر صاحبها إلا عن فكر ، ولا يورد إلا عن روية ، ولا يبدو للناس إلا فى مظهر التقى والصلاح ، والطهارة وحسن القدوة ؛ فهو ملاك فى صورة إنسان ، وروح لم تخالطها ظلمة الأجسام .

أما الصفة الثالثة من صفات المؤمنين ، فقد اهتم القرآن بشأنها أيما اهتمام ، وعنى بها أجل عناية ، لأنها ترتبط بسيرة المؤمن فى الجماعة ، وتتصل بالرأى العام ، وتختبك بالناس ومعاملاتهم ؛ وذلك كله له خطره ومكانته فى حياة الأمم والشعوب .

فلا غرابة إذا رأينا القرآن الكريم يفسح لها صدره ، ويفتن فى الحث على تحصيلها ، ليسلم المجتمع من الشرور ، وتخلو الجماعة من عوامل الفساد ، فتسود الأمة ويسعد العباد .

والنوع الأول من الصفات ، وأعنى به الصفات التى يقصد بها تربية النفوس وإعدادها للخير ، تعددت أساليب القرآن فى تحصيله والحث عليه .

فتارة يضع بين أيدينا صورة مغرية للمؤمنين العاملين الصادقين ، فيقول : « كانوا قليلاً من الليل مايهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ، وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » .

وأى نفس تسمع حديث أولئك المؤمنين الكملة الذين يقضون الليل فى ركوع

وسجود وتضرع وعبادة لا ينامون من الليل إلا غرارا حتى إذا أظلهم السحر أخذوا فى الاستغفار كمن أقام على جرم أو بات على إثم ؟ من ذا الذى يسمع حديث هؤلاء ولا يحفزه ذلك الى الاقتداء بهم ، والسير فى طريقهم ؟

وطورا يلج الى النفوس من طريق الوجدان والاحساس ، فيمثل لنا الكاملين فى الايمان فى صورة المرء الذى عراه ما عراه من خشية وخوف وماحل به من فزع ، ولكنها خشية لاتلبث أن تتحول الى طمأنينة ، وخوف لا يمكث إلا ريثما ينقلب الى راحة وأمان ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وَجِلتْ قلوبهم ، وإذا تليتْ عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » ؛ ويقول فى آية أخرى « ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب » .

وآونة يطلب منا أن نقاوم مافينا من غرائز ، ونتنبه الى مافينا من ملكات قد تنزع الى الشر ، وتحت ستار ذلك قد يخفى علينا طريق الخير خضوعا لطبائعنا وتمشيا مع غرائزنا ، فيرشدنا الى طريق الصواب فى ذلك ، ويهدينا الى سواء السبيل .

وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

« يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومَن يفعلْ ذلك فأولئك هم الخاسرون . وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتىَ أحدَكم الموتُ فيقولَ ربِّ لولا أخرتنى الى أجل قريب ، فأصدَّقَ وأكنْ من الصالحين. ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون » .

ويقول أيضا « يأيها الذين آمنوا إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » .

حب المال والولد طبيعة متمكنة من النفوس ، قد يستغلها الشيطان فيضل الناس وهم لا يشعرون .

ومرة يحدثنا عن الشجاعة والثبات والصبر على الشدائد ، ليغرس فينا هذه الأخلاق الكريمة ، فيقول :

« ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » .

وأخرى يصور لنا طاعة المؤمنين الكاملة ، فيقول « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » .

وحينا يدعونا الى الايمان وعمل الخير ، فيصور لنا ذلك بأنه تجارة رابحة وصفقه تجلب السعادة وراحة البال ، فيقول « يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وكثيرا ما يدعونا الى الشجاعة الأدبية وقول كلمة الحق بيضاء نقية لا يشوبها رياء ولا يخالطها نفاق ولا تعكر صفوها مجاملة قرابة قريبة ، أو مداراة صديق ، فيقول : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » .

كما أنه رسم لنا طريقا فى الوقوف عند حد الاستقامة وترك ما لا يعنى بقوله : « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » . وقوله : « يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » وأقام لنا دستورا فى عدم موالاة أعداء الانسانية والدين بقوله : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » وقوله : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » .

أما الأوامر العامة التى يقصد بها الاستقامة فى السلوك ، وحفظ الجوارح من اقتراف الذنوب ، والحرص على كل حلال طيب ، فكثيرة لا يحصيها العد ، منها قوله « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » وقوله « يأيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » .

هذه مجموعة من أساليب القرآن القيمة فى الحث على التمسك بالصفات التى

تهذب النفوس وتقوم الأخلاق ، وتعد المرء لكل ما طلب منه من تكاليف ، وما تحمل من تبعات ، وضمناها بين يدى القارىء الكريم ، لتكون له دستورا يهديه وقانونا يتبعه .

أما النوع الثانى من صفات المؤمنين وهي التى تتصل بالانسان فى خاصة نفسه ويتصل نفعها به ، وهى ما قلنا عنها إنها صفات رقابة على الانسان وحراسة على سلوكه ، فمن أمثلتها قوله تعالى « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

وخليق بمن خشع فى صلاته وبلغ الغاية فى القيام بالأعمال البدنية والطاعات وتجنب المحرمات وحفظ أمانته ، ورعى عهده ، أن تكون الجنة مآله ، والفردوس عاقبة أمره ، فيفوز بكل خير ، وينجو من كل ضير ، ويكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

والصفة الثالثة من صفات المؤمنين الصادقين ، هى تلك التى قلنا عنها إنها تتصل بالجماعة الانسانية ، وقلنا إن القرآن الكريم عنى بها لسمو مكانتها وعظيم آثارها .

هذه الصفات تنقسم الى صفات عملية إيجابية ، وإلى صفات سلبية يطلب من المؤمن الكامل أن يبتعد عنها حتى يتم له الايمان وتكمل له عقيدته . فمن الأول قول الكتاب العزيز « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

فالمسلمون إذا حققوا هذه الأخوة الدينية وعلموا أنهم ينتسبون الى أصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الأبدية ، إذا هم فعلوا ذلك حسنت حالهم

وانتظم أمرهم ، وتعاونوا فى السراء والضراء ، وكانوا يدا واحدة على الأعداء ، ولما رأينا بينهم بائسا ولا مسكينا ، ولا وجدنا منهم ملهوفا أو محزونا .

ورحم الله المؤمنين الاولين يوم كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ويجودون بما لديهم وهم فى أشد الحاجة إليه .

أما المسلمون الآن فقد أهملوا هذه الأخوة الدينية ، ففشا بينهم الحقد ، ونمت البغضاء ، وتفرقوا شيعاً وأحزابا ، فذلوا بعد عز ، وضعفوا بعد قوة ، وذهبت ريحهم ، فكانوا كغثاء السيل ، أو كالريشة فى مهب الاعاصير .

ومن الصفات الإيجابية أيضا قوله عز وجل : « والذين آمنوا وهاجروا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم مغفرة ورزق كريم » .

فالهجرة الى الله والفرار بالعقيدة فى وقت الفتن من علامات الايمان الكامل ، لأنه يصحبها البعد عن الأهل والأحباب والإخوان والأصحاب والآباء والأمهات ، ويصحبها أيضا ترك المال الذى هو قوام الحياة وعون المرء فى كل شأن وحال ، ويصحبها أيضا مفارقة الأوطان التى درج تحت سمائها وتنسم هواءها ، فلا عجب إذا كانت الهجرة التى من هذا القبيل أمارة كمال الإيمان وعلامة تغلغل العقيدة فى أعماق النفس . والجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال تضحية عظمى تدل على ما بين الجوانح من إخلاص فى النية وسلامة فى الطوية ومتانة فى العقيدة وقوة فى الايمان . وإيواء الضعفاء من المؤمنين وبذل المال لمعونتهم ، والقيام على حوائجهم وتعهدهم بالرعاية ، ومسح دموع اليتيم منهم ، وكفالة العجزة والأرامل ، كل ذلك دليل كمال الايمان . وسمو العقيدة ونصرة الدين وحمايته من كيد الكائدين ، وبذل الجهود لإعلاء كلمته ورفع شأنه من علامات الايمان الكامل والعقيدة الصحيحة .

وأما الصفات السلبية ، فمن أمثلتها قول القرآن الكريم « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم

الفسوق بعد الايمان، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم . » ومنها قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ، وتناجوا بالبر والتقوى ، واتقوا الله الذى إليه تحشرون » .

ومن الآيات الجامعة لكلا النوعين الايجابى والسلبى ، قول الله عز وجل فى سورة الفرقان :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، إنها ساءت مستقرا ومقاما ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا ، والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إماما ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا . يلقون فيها تحية وسلاما » .

فهى تحدثنا عن إيمان صادق جمع صاحبه بين السلوك الطيب ، ودفع السيئة بالحسنة ، وإتقان العبادة فى ظلام الليل والناس نيام ، والخوف من عقاب الله والخشية من عذاب النار ؛ وكم للخوف من آثار سامية !

ثم تحدثنا هذه الآيات الكريمة عن أولئك المؤمنين الصادقين ، بأنهم يعرفون قيمة الاقتصاد فى المال وأنه سبيل السعادة ، والاقتصاد فى القول وأنه طريق راحة البال ، وأنهم يعرفون قيمة النفس الانسانية فلا يهتكون لها ستراً

ولا يريقون لها دما ، ويحترمون حقوق الغير ، فلا يكونون سبباً فى ضياعها بشهادة الزور وتلبيس وجه القضاء على القاضى ، وفى ذلك سلامة المجتمع ونظام شمل الجماعة .

هذه هى صفات المؤمنين الصادقين الذين قال الله فيهم : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » . وقال « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور » .

وهم الذين قال فيهم أيضا « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً » .

وقال فيهم أيضا « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » .

وقال أيضا : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار » .

وهم الذين أشاد بذكرهم فى أساليب متعددة بقوله « وعباد الرحمن » ويقول « يا عباد لا خوف عليكم اليوم » ويقول « يا عباد » ويقول « أولئك حزب الله » .

فهل نحن الآن على سنن هؤلاء نسير ؟ أفهم هدى لنا وهدفا ، ورهبة لنا من أمرنا رشدا ؟

كبر السن

قال العتبى : لما أسن أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، وكان فى الجاهلية من أشجع الناس قلبا ، وأقواهم ساعدا ، وأصلبهم متونا ، ضعفه بنو أخيه وانهموه بالخرف ، ولم يكن به ، ولما دفع سنه قالها يقول :

دفعتكم عنى وما دفع راحة ... على ولكن لا أقول بجاهل
يضعفنى حلمى وكثرة جهلكم ... على وأنى لا أقول بجاهل

أبو الأنبياء

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى
المدرس فى كلية الشريعة

للإسلام ونبيه الكريم عليه الصلاة والسلام ، صلة وثيقة بخليل الله إبراهيم ، هى أقوى الصلات ، وأرسخها فى التاريخ قدما ، وأكثرها بين الروابط وشائج وأعرى .

ذكرنى بهذا المعنى ، وفتح لى باب الكتابة فيه ، هذا العام الهجرى الجديد ، وأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد هاجر بأم العرب « هاجر » وولده منها « إسماعيل » إلى بلاد العرب ، هجرة شبيهة بهجرة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، التى كان لها أطيب الثمرات ، وأبعد الآثار فى نشر الدين ، وإبطال الشرك ، وظهور عقيدة التوحيد على كل عقيدة تنافيها .

وحسبى فى هذا المقال أن أعرض لناحيتين عظيمتين ، من وجوه هذا الاتصال والتقارب بين الرسولين الكريمين :

* * *

فإبراهيم هو الجد الأعلى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما هو الجد الأعلى لكثير من الأنبياء والرسل غيره ، وفى هذا يقول الله عز وجل : « ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون ، وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس ، كل من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم » .

الضمير فى قوله تعالى : « ومن ذريته » لإبراهيم عند أكثر العلماء لا لنوح . ولوط وإن كان ابن أخى إبراهيم إلا أنه ذكر فى الذرية تغليبا ،

ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم يمتاز فى هذه النسبة بأمر يلفت النظر ، هيأه الله له ، واختصه به من بين هؤلاء الأنبياء أجمعين : ذلك أن إبراهيم كان له ولدان : إسماعيل من هاجر ، ثم إسحاق من سارة ؛ فأما إسحاق فقد كثرت ذريته من الأنبياء ؛ فكل من نسب الى إبراهيم فى هذه الآيات فهو من ذرية إسحق ؛ وأما إسماعيل فهو أبو العرب على اختلاف قبائلهم ، وليس له ذرية من الأنبياء إلا سيدهم وخاتمهم ، عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ فكأن الشجرة الإبراهيمية قد أنبتت فرعين عظيمين وازن أحدهما الآخر جلالة وشرفا ، وكان « محمد » وحده وزان هذه السلالة الطاهرة كلها من الأنبياء والمرسلين !

وابراهيم عليه السلام هو بانى البيت الحرام ، ورافع قواعده بأمر الله ، ومطهره للطائفين والقائمين والركع السجود ، وواضع المناسك والمشاعر ، وهو الذى دعا ربه لهذا البلد الحرام أن يجعله آمنا ، تهوى اليه أفئدة من الناس ، وتجبى اليه ثمرات كل شىء ، وأن يبعث فى العرب رسولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم .

فهذه صلة إبراهيم بمحمد عليه الصلاة والسلام ، نسبا ووطنا وقوما ، وهى ناحية بارزة — من غير شك — فى حياة هذين الرسولين الكريمين .

* * *

ولكن هناك ناحية أبرز منها ، وأقوى فى تحقيق الصلة بينهما ، هى ناحية الاتفاق فى الدعوة وأسلوبها .

وأول ما يلاحظ من ذلك أن ابراهيم عليه السلام كان منذ صغره مائلا عن الشرك ، متنزها عن أرجاسه ؛ فلم يشرك بالله قط على كثرة ما كان حوله من بواعث الشرك ؛ فأبوه مشرك ، وقومه مشركون ، وللأصنام عندهم منزلتها وحرمتها ومعابدها ، ومع ذلك لم يمل قبل بعثته طرفة عين الى جانب الشرك ، ولم يعبد إلا الله ، ولم يخشع إلا له ؛ وقد حدثنا القرآن الكريم أنه لما جادل أباه وقومه فيما يعبدون من دون الله استصغروه وقالوا له « أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين » ، ولما حطم هذه الأصنام « قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له

إبراهيم » . كل هذا يدل على أنه عزف عن الشرك ، وأخلص التوحيد لله ، وهو بعد فى سن مبكرة لم يعد طور الفتوة والشباب ؛ ولهذا يقول الله عز وجل : « ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين » ويقول : « إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » .

وكذلك كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقد تولاه ربه برعايته منذ طفولته ، وبرأه مما كان يسود قومه وعشيرته الأقربين من الشرك والفحش والخمر واللهو وسائر أنواع المجون ، وأدبه فأحسن تأديبه ، حتى كان يعرف فى قومه «بالصادق الأمين» ، ولم يسجد لصنم قط ، ولا استقسم بزلم قط ، ولا استطلع كاهنا ، ولا استعان بعراف ، وقد حببت اليه العزلة والبعد عن مظاهر الشرك والوثنية ، وهو العربى القرشى الذى نشأ فوجد أهله زعماء القوم وكبار المشركين .

وابراهيم كان له طريقة عقلية بارعة فى محاجة الخصوم ، ومقارعة المبطلين بالدليل تلو الدليل ، على نحو من الاستدراج المنطقى ، أو ما يسمونه فى البحث والمناظرة بإرخاء العنان للخصم حتى يفاجأ بما ليس فى حسابه فيرتبك ويتلعثم ويضطر الى التسليم .

وأمثلة هذا فيما حكاه الله فى القرآن الكريم عن ابراهيم كثيرة ، حسبنا أن نعرض لبعض منها بالتفصيل ، وأن نشير الى بعض آخر :

١ — « ألم تر إلى الذى حاجّ ابراهيمَ فى ربه أن آتاه الله الملك » .

محاجة دارت بين ابراهيم وجبار عنيد غره ملكه حتى نازع ربه الذى يملك ناصيته فادعى الربوبية ، وقد ناقشه خليل الله مناقشة أبطل فيها إفكه وسفسطته ، وبين كثرة جهله ، وضعف عقله ، وألزمه الحجة حتى انقطع وتحير « إذ قال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت » لم يقل له : ربى يحيي ويميت ، لأنه لا يريد أن يصف الله بالإحياء والإماتة فحسب ، ولكنه يريد أن يستدل باحيائه وإماتته وما يرى الناس من المشاهدات فى الكون على وجود صانع لها ، فقال : ربى هو الذى يفعل ذلك ، كأنه قال له : أنا لا أعبد ولا أدين بالربوبية إلا

لمن بيده الإحياء والإماتة والتصرف فى الخلق بما يشاء ، لأنه هو الذى يستحق عبادتى وخضوعى ، أما من كان مثلى فى خضوعه لهذا الرب وما يسنده به ، فليس جديرا بأن يكون ربا لى . فماذا قال له الكافر ؟ قال : « أنا أحيي وأميت » . لم يستطع أن يقول « أنا الذى أحيي وأميت » وإلا لكان مكابرا صريح العناد ، ولكنه تحايل بهذا اللفظ ليخدع السامعين ، ولا ينكشف أمام الحاضرين ، فأسند لنفسه نوعا من الأعمال سماه إحياء وإماتة ، على نحو من الحيلة والسفسطة (١) ، فكان ابراهيم يستطيع أن يزيف له هذا الرد ، ويبين له أنه فى واد غير واديه ، ولكنه لم يفعل ، فأعرض عن هذه الحجة لأنه يعلم أن صرف الوقت فى ردها والنقاش فيها غير لازم ، وانتقل الى حجة أخرى . « قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذى كفر » لأنه لم يستطع مع هذه الحجة الساطعة أن يتمحك ويتلاعب بالألفاظ والمعانى كما فعل من قبل . « والله لا يهدى القوم الظالمين » .

٢ — وقد تجلت طريقته الحاسمة أيضا فيما قصه الله علينا من استدراجه للذين يعبدون غير الله ، إذ رأى الكوكب فقال هذا ربى ، وبقى على ذلك مدة حتى إذا غاب الكوكب وأفل « قال لا أحب الآفلين » وهكذا فعل مع القمر ، ثم مع الشمس ، فكأنه يقول لقومه ... غير الإله المستحق للألوهية وأن يفرد بالتوحيد ، هيا بنا نتدبر ... فيها حتى نجدها ؛ وتلك طريقة فى إيصال الحقائق ... أساليب التعليم والتربية بعظيم جدواها ؛ وكأنى بقومه قد ... ما يعبدون ، ثم تبين لهم أنه يستدرجهم ... الفرصة بعد هذا الاستدراج الذى تضمن ... خطواته ، فأعلنها كلمة صريحة قوية ذات أساس متين ... تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » .

(١) قالوا : كان يؤتى بالرجلين قد تحتم قتلهما فاذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات ذاك .

٣ — وقد تحدى قومه باهانته لأصنامهم ، واستهزائه بهم ، ثم أعلن فيهم أن هذه الأصنام عدو له ، فاذا كان لها قوة فلتفعل به ما تشاء ، فهو لا يخافها ولا يعبأ بها ، وهو آمن كل الأمن من قبلها ، لأنه لا يخاف إلا الله الذى فطره ، والذى يطعمه ويسقيه ، وإذا مرض فهو يشفيه ؛ ويصور لنا القرآن الكريم هذا التحدى فى مواضع كثيرة ، منها قوله تعالى : « وحاجه قومه ، قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا ، وسع ربى كل شىء علما ، أفلا تتذكرون ! وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » .

وهذه حجة لا يرى فيها ذو عقل ، ولا يصد عنها من كان عنده ذرة من إنصاف ، وذلك عز الله بها فيقول : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك حكيم عليم » .

ولو شئنا [illegible] الأمثلة التى توضح لنا أسلوب إبراهيم وقوته فى [illegible] لما اتسع له هذا المجال ؛ فحسب القارئ [illegible] ذكرناه فى أسلوبه مع أبيه ، حينما نهاه عن عبادة الشيطان [illegible] وفى أسلوبه مع بنيه حينما وصاهم بالاحتفاظ [illegible] حينما خرج به يوم أنهم بتحطيم الأصنام اذ [illegible] بالحجة حتى ألجأهم الى استعمال [illegible] انصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا [illegible] أرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين » . [illegible] من الأمثلة التى لم نذكرها ، فسترون أن [illegible] ولا مخطئا فى أسلوبه أو فكرته ، ولكن الذين لا يبصرون لا يبصرون .

وعلى مثل هذا السنن كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وحجته التى لقنها الله إياه كما لقنها أباه إبراهيم من قبله ؛ فما جاء القرآن الكريم إلا بالمنطق الحق ،

والحجة البالغة ، وتتبع الخصوم فى كل ما تعللوا به من شبهات لتكذيب الدعوة وتوهينها .

جادلوه فى عقيدة البعث والنشور وقالوا « من يحيي العظام وهى رميم »؟ فعلمه ربه أن يقول « يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون . أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم »

وكانوا يقولون : « أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ؟ » فيرد الله عنه بقوله « بل جاء بالحق وصدّق المرسلين » « وما علمناه الشعر وما ينبغى له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين» « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . أم اتخذوا من دونه آلهة ، قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » « قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى ، وأمرت أن أسلم لرب العالمين . هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون . هو الذى يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون » .

وهكذا تقوم دعوة الاسلام على لسان محمد صلى الله عليه وسلم بما قامت به على لسان إبراهيم عليه السلام : حجة وبرهان ، ونظر وتدبر فى ملكوت السموات والأرض ، يدعى إليهما كل عاقل ، ومنطق سليم لا يجحده إلا مكابر قد أطغاه العناد ، وأفسده اللجاج .

وقد استجاب الله بذلك دعوة إبراهيم ، وجعلها باقية فى عقبه ، وإنما بقيت بمحمد وشريعة محمد .

ولذلك أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باعلان هذه الحقيقة ليعلم الناس أن دين الله واحد ، فقال له : « قل إننى هدانى ربى الى صراط مستقيم ، دينا قيّما ملةَ إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين » .

أوائل المتكلمين من المسلمين

واصل بن عطاء — شيخ المعتزلة

لفضيلة الأستاذ الشيخ على مصطفى الغرابى

انتهى بنا الكلام فى المقال السابق عن « واصل » الى ما كان له من المقام فى العلم ، مع بيان بعض ما نسب له من كتب . وفى هذا المقال نحب أن نواصل الكشف عن بعض نواحي ذلك العالم السلفى حتى نؤدى له بعض حقه علينا ، فإن للآباء حقوقا على أبنائهم ، وإن كثيرا من سلفنا قد ظلم من الزمن ومن أهله ؛ ولا نجد طريقا لدفع ذلك الظلم عنهم إلا نشر الحقائق التى لو عرفها الناس لتغير رأيهم فيهم ، وحلوا منهم المحل الذى يليق بهم . وإن من هؤلاء العلماء « واصل ابن عطاء » لأنه شيخ المعتزلة ورئيسهم الأول . وبعد ما سمعت أيها القارئ نبذة صورت لك حياته تصويرا إجماليا ، نحب أن تعرف أولاً موقف بعض علماء الفرق الكلامية الأخرى منه ، ورأيهم فيه ، فنقول تتمة لما سبق :

٤ — واصل فى نظر بعض علماء الفرق الكلامية :

إن ما تقدم — كما قلت — هو ما أمكننا استخلاصه عن واصل من جملة مراجع ، إلا أن بعض من ألفوا فى الفرق الكلامية يذهبون فى واصل الى غير ما ذهبت اليه ، فيجعلونه تارة خارجيا ، وتارة جهميا ؛ ولم يقف بهم الأمر الى ما ذكر من كونه خارجيا وجهميا ، بل ذهبوا الى أكثر من هذا وهو « أنه كافر » .

أما من سماه « خارجيا » فهو عبد القاهر بن طاهر البغدادى الأشعرى المتوفى سنة ٤٢٩ هـ سنة ١٠٣٧ م ، فى كتابه « الفرق بين الفرق » ص ٩٨ : « ثم إن واصلا وعمرا وافقا الخوارج فى تأبيد عقاب صاحب الكبيرة فى النار مع قولهما بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر ، ولهذا قيل للمعتزلة « إنهم مخانيث الخوارج » .

وافقه على هـذه التسمية أيضا أبو المظفر الاسفرايني تلميذه المتوفى سنة ٤٧١ هـ في كتابه (التبصير في الدين) ص ٤١ فقال : ونسبهم إسحق ابن سويد الى الخوارج في شعره فقال :

برئت من الخوارج لست منهم من المزال منهم واصل بن

وأما من سماه وسمى كل المعتزلة كذلك « جهمية » فهو الامام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ في كتابه [illegible] فقد قال : « وزعمت الجهمية أن الله عز وجل لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر . . . » الخ . فهذا الرأي في صفات الله الذي ذكره الأشعري هو رأي المعتزلة ، وقد عبر عنهم « بالجهمية » ، ويدل أيضا على أنه يريد بالجهمية المعتزلة قوله في الكتاب المتقدم (ص ٤٢) : وقد قال رئيس من رؤسائهم وهو أبو الهذيل « إن علم الله هو الله » . ولا شك أن من يسمي المعتزلة « بالجهمية » فهو يسمي من باب أولى رئيس المعتزلة (واصلا) بتلك التسمية ، وهو أنه جهمي .

وأما من وصمه بالكفر فهو كذلك أبو منصور عبد القاهر البغدادي فقد قال : « ثم إنهما « واصلا وعمرا » أظهرا بدعة [illegible] وضما إليها « دعوة الناس الى قول القدرية » على [illegible] يومئذ لواصل « إنه مع كفره قدري » وجرى [illegible] من كتابه « الفرق بين الفرق » ص ٩٨ وهكذا [illegible] البغدادي قد وصم واصلا بوصمة الكفر ، [illegible]

ومن بين الذين كفروا « واصلا » أبو الفتح الأزدي [illegible] عنه الذهبي في كتابه « ميزان الاعتدال » جـ ٣ ص ٦٧ ، قال « قال أبو الفتح الأزدي « رجل سوء كافر » .

هذا ما حكم به العلماء المخالفون للمعتزلة في آرائهم على واصل الذي عرفت طرفا من ورعه وزهده في الدنيا وعلمه الغزير ، وغيرته على الدين الإسلامي ، وإرسال الدعاة لنشره في الآفاق ، ومؤلفاته الكثيرة في الدفاع عن التعاليم

... لا ... هو « أنه رجل سوء كافر » . وما أسهل الاتهام ... أنه لا يجوز الحكم على مجتهد — ولو أخطأ — ... عند العلماء المسلمين ؛ قال الشيخ ... في « تاريخ الجهمية والمعتزلة » ص ٨٥ « كما أن اسم ... في الفقه ، فكذلك مسائل الكلام لعموم مفهومه ... حدودا ، فإن الفرق التي تنوع اجتهادها في مسائل ... من الفروع . وكيف لا تكون من المجتهدين ، وهي ... تجادل خصومها بأخذها ، وترى أن ما تستدل ... لا يعتد على سواه ، ولابد أن الحق تعالى يعتبره »؟ إلى آخر ... أن الجهمية والمعتزلة هم ما للمجتهدين » من كلام ...

... يؤرخو الفرق الكلامية لأنفسهم أن يحكموا على ... لدفاع عن عقيدة المسلمين ، وعالم من علماء التابعين ... كافرة !

... هذا عرض عند أصحاب المسلمين ، ولا زال سيفا مصلتا على رءوس ... ، ... سلاح لمن عجز عن إقناع خصمه بالحجة والدليل ، مع ... لا إكراه في الدين » لأنه « قد تبين الرشد ... الهدى من الضلال ؛ فهذا الدين لأنه حق ... بعقله ويدبر بفكره ويتبين الخير من الشر ... ذلك النظر لا يعارض نصا صريحا ... النظر لا يريد إلا الحق .

... واصلا كان تلميذا للحسن البصري ، وأن ... الخلاف بينهما على مرتكب الكبيرة ، حين ... أن مرتكبها ، وأن التلميذ أجاب قبل أن يجيب

أستاذه « بأنه فى منزلة بين المنزلتين ، وأنه فاسق » كما سنذكر ذلك ـ إن شاء الله ـ عند الكلام على آرائه . ولقد كان ذلك الرأى الذى ذهب إليه التلميذ يخالف رأى أستاذه ؛ إذ أن الحسن كان يرى « أن مرتكب الكبيرة ليس فى منزلة بين منزلتى الإيمان والكفر ، وإنما هو منافق فاسق » . قال أبو الحسين عبد الرحيم الخياط المعتزلى المتوفى آخر القرن الثالث الهجرى فى كتابه « الانتصار » ص ١٦٥ : وقال الحسن ومن تابعه : « مرتكب الكبيرة مع فسقه وفجوره منافق » . وقال ابن المرتضى فى كتابه « المنية والأمل » ص ٢٣ — حين تحدث عن الجدل الذى قام بين واصل وعمرو بن عبيد على مرتكب الكبيرة — : إن واصلا قال لعمرو : أوليس تجد الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة « فاسقا » ، ويختلفون فيما عداه من الأسماء ، فالخوارج تسميه « كافرا وفاسقا » ، والمرجئة تسميه « مؤمنا فاسقا » ، والشيعة تسميه « كافر نعمة فاسقا » ، والحسن يسميه « منافقا فاسقا » .

ولما أجاب التلميذ بما يخالف رأى أستاذه طرده من درسه ـ كما تقول بعض الروايات — فقام واصل الى جانب سارية من سوارى المسجد وأخذ يقرر رأيه على بعض زملائه الذين كانوا معه فى درس الحسن ، وقد أعجبهم رأيه فى مرتكب الكبيرة ، وكان من بينهم « عمرو بن عبيد » الذى انضم اليه بعد أن أقنعه واصل برأيه . إن تلك الرواية قد تدل على أن علاقة التلميذ بأستاذه قد ساءت ، وأن حبل المودة بينهما قد انقطع ، وأصبح التلميذ بهذا عاقا لأستاذه ؛ وقد يقوى ذلك الرأى أن المؤرخين قد وقفوا الى هذا الحد من كلامهم على واصل ، مما جعل أكثر من قرأ عنه ، بل كل من عرفه يعتقد أن الخصومة قد بقيت بين الحسن وواصل حتى توفى الحسن رضى الله عنه عليها ؛ وليس كذلك ، بل لما أن الخلاف بينهما كان لله وللحق ، ولم يكن للهوى والشيطان ، فإنه لم يؤثر على علاقتهما ، ولم يمنع التلميذ أن يحضر على أستاذه ويسمع لنصائحه وعظاته ويحفظ عنه وصاياه ؛ يدلنا على هذا ما كتب به واصل الى عمرو بن عبيد ـ حين بلغه عنه أنه قد حاد عن نهج أستاذه فى التفسير من تنقيص المعانى ، وتفريق المبانى ـ ولقد اشتد عليه واصل فى التقريع والتأنيب ، وأخذ يذكره

بكلام أستاذه فيه وأنه كان يخافه ، وأنه كان يتوقع منه أن سيميل عن طريقته ، وأنه شكاه لله مقدما . وقد ذكر ذلك الكتاب ابن عبد ربه فى كتابه « العقد الفريد » جـ ٢ ص ٣٨٦ — ٣٨٧ فقال : كتب واصل الى عمرو يقول : « أما بعد ، فإن استلاب نعمة العبد ، وتعجيل المعاقبة، بيد الله ؛ ومهما يكن ذلك فباستكمال الآثام ، والمجادرة للجدال الذى يحول بين المرء وقلبه ؛ وقد عرفت ما كان يطعن به عليك وينسب اليك ، ونحن بين ظهرانى الحسن بن أبى الحسن رحمه الله ، لاستبشاع قبح مذهبك ، ممن قد عرفتهم من جميع أصحابنا ، ولمة إخواننا الجاملين الواعين عن الحسن ... ثم قال : عهدى والله بالحسن وعهدكم به أمس فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشرق الأجنحة ، وآخر حديث حدثنا إذ ذكر الموت وهول المطلع ، فأسف على نفسه ، واعترف بذنبه ، ثم التفت ـ والله ـ يمنة ويسرة معتبرا باكيا ، فكأنى أنظر إليه يمسح عرفض العرق عن جبينه ، ثم قال : اللهم قد شددت وضين راحلتى ، وأخذت أهبة سفرى الى محل القبر ، وفرش العفر ، فلا تؤاخذنى بما ينسبون الى من بعدى . . . » الخ

إن ذلك الكتاب الذى أرسله واصل الى زميله « عمرو بن عبيد » يدلنا ـ كما قلت ـ على أن واصلا قد بقيت علاقته بأستاذه ولم يفرق بينهما الخلاف فى الرأى ، كما يريد خصوم واصل ، وكما يريدون أن يوسعوا شقة الخلاف بينهما ، وغضب الأستاذ على تلميذه ، مع أن واصلا لم يكتف بمجرد العلاقة بينه وبين أستاذه ، بل كان يحرص على سماع دروسه ، والانتقال معه فى الأسفار ، والارتحال معه فى سبيل العلم ؛ لأن هذا الدرس الذى أوصى فيه الأستاذ تلاميذه الذين كان من بينهم (واصل وعمرو) كان بالمدينة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ويظهر أنها كانت آخر رحلة من الحسن الى مسجد الرسول عليه السلام ، حيث إنه رجع الى البصرة وتوفى بها ، وقد صارت العلاقة بينهما على خير حال . وبهذا يظهر خطأ من ظن أن العلاقة بين الأستاذ وتلميذه انقطعت ، وأن الأستاذ توفى غاضبا على تلميذه . وأحب أن أقف بالقارئ الى ذلك القدر من الكلام على واصل ، وفى مقال آخر سنتحدث عن آرائه الكلامية، إن شاء الله ؟ .

بين الخشاب والعطار

من أدباء مصر

لفضيلة الأستاذ الشيخ [illegible]
المدرس بكلية [illegible]

الخشاب : هو السيد [illegible] عيل في سنة [illegible]
ثم وقع له مخزا [illegible] بيع الخشب بالقرب من [illegible]
العلم ، وتفقه على مذهب الشافعي ، وتثقف [illegible]
بمطالعة الكتب الأدبية ، وكتب [illegible]
الأشعار والرسائل والحكايات ، حتى تد [illegible]
والمحاورات والأسمار ، مما جعل الرؤساء [illegible]
في تقريبه والاختصاص به ، على ما ضع عليه [illegible]
ودماثة الأخلاق . وكان يحترف الشهادة في [illegible]
لديوان القضايا المسلمين ، الذي أنشئ [illegible]
الأصلية ؛ حتى ارتحل الفرنسيون عن [illegible]
ميسور الحال ، قريبا الى التقرش ، الى أن [illegible]

أما العطار ، فهو أبو علي الحسن بن محمد [illegible]
في حدود سنة ١١٩٠ هـ ، ويقال إنه [illegible]
واستوطنها ، ولقي في حيوة أبيه [illegible]
بالعلم ، كما يدل عليه دور [illegible]
الفقه ، وكان يستصحبه [illegible]
والشيخ [illegible]
[illegible]
[illegible]

شيوخ وقته ، كالأمير والصبان وغيرهما ، حتى بلغ من العلوم [illegible]
التصدي للتدريس ، ولكن ميله الى الاستكمال مال به الى الاشتغال بغرائب

الفنون . فما هاجت الفتن بدخول الفرنسيين مصر ، داخله الخوف ، ففرّ الى الصعيد كجماعة من العلماء ؛ ثم عاد بعد أن حصل الأمن ، واتصل ببعض علمائهم ، فكان يعلمهم العربية ، ويعلمونه من علومهم ؛ مما جعله يقول : « إن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ، وتتجدد معارفها » ؛ ويطول عجبه مما وصل اليه الفرنسيون من العلوم والفنون .

ثم ارتحل الى الشام سنة ١٢١٥ هـ ، وأقام في دمشق زمنا ؛ وارتحل الى بلاد الروم سنة ١١١٧ ، وأقام هناك مدة طويلة ، وسكن بلدة « اشكودرة » من بلاد الارنؤود ؛ وتأهل بها وأعقب ، لكن لم يبق عقبه ثمة . ولم يفتر شغفه بالإفادة والاستفادة في رحلاته ، حتى عاد الى مصر كما تروح الطير ، مزودا بعلوم وفلسفات انتزعت من مشيخة عصره الإقرار بتفرده ، والاعتراف بامتيازه . وكان أول ما بدأ به بعد عودته ، أن عقد مجلسا لقراءة تفسير البيضاوي ، وكانت قد مضت مدة طويلة ، لم يقدم أحد من مشيخة الأزهر على تدريس هذا التفسير فيها ؛ فحضره أكابر الشيوخ ، وكانوا يفضّون حلقهم ويقومون الى درسه متى حضر لإلقائه . ومما نقل عنه أنه قال : « قدم علينا عصر عام سبعة وثلاثين ومائتين بعد الألف كبيرُ جبال الدروز ، لقيام أهل الجبال عليه ، ملتجئا بوزيرها محمد علي باشا ، وقدم بصحبته بطرس النصراني ، فاجتمع بالفقير مرارا ، ورأيت منه أدبا جما ومحاضرة ومعرفة بالتواريخ والأيام والأنساب والنحو وغير ذلك ؛ وكان يكتب الخط الحسن ، وامتدحني بقصيدة منها :

أما لذكاء فانه ... أذكى وأبرع من إياسه
أضحى البديع رفيقه ... لما تفرد في جناسه
في أي فن شئته ... فكأنه باني أساسه

ولقد أجاد فوقه في سائر العلوم ـ لاسيما الحكمية وما يتبعها من الرياضيات والهندسة وكانت غير معروفة في الأزهر ـ حسدَ معاصريه ، فافتنوا في نصب الفخاخ له ولمن يتصل به ، وزاد في حدة ذلك ما كان يلقاه من تقريب والي مصر محمد علي باشا ، وعرفانه لفضله ، وإكباره لشأنه .

ومن أغرب ما يروى من مكايدهم : « أن المشايخ اجتمعوا مرة في القلعة

لأمر من الأمور ، وكان المترجم بينهم وهو شيخ للأزهر ، فسرقوا نعله ، واحتالوا حتى صرفوا خادمه ببلغته ؛ فعاد الى بيته فى حارة الحمام ماشيا فى جوربه ، جامعا « فرجيته » على رأسه تفكرا . . .

وتولى مشيخة الأزهر بعد الشيخ الدمهوجى سنة ١٢٤٣ هـ فقام بها خير قيام . وتوفى سنة ١٢٥٠ هـ .

وشعر العطار وثره من المتعالم المشهور .

* * *

وكان بين الخشاب والعطار ودّ متبادل ، وألفة ونيقة ، يصفها الجبرتى فيقول : « وبعد أن رجع صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار من سياحته ، مازج المذكور وخالطه ورافقه ووافقه ولازمه ، فكان كثيرا ما يبيتان معا ، ويقطعان الليل بأحاديث آرق من نسيم السحر ، وألطف من اتساق نظم الدرر ، وكثيراً ما كانا يتنادمان بدارى ، لما بينى وبينهما من الصحبة الأكيدة ، والمودة العتيدة ؛ فكان يرتاحان عندى ، ويطرحان التكلفات التى هى على النفس شديدة ، ويتمثلان بقول من قال :

فى انقباض وحشمة فإذا رأيت أحسن الوجوه والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

ثم يتجاذبان أطراف الكلام ، فيجولان فى كل فن من الفنون الأدبية والتواريخ والمحاضرات ؛ فتارة يتشاكيان تغير الزمان ، وتنكد الإخوان ؛ وأخرى يترنمان بمحاسن الغزلان ، وما وقع لهما من صد وهجران ، ووصل وإحسان ؛ فكانت تجرى بينهما منادمات أرق من زهر الربيض ، وأفتك بالعقول من الحدق المراض ؛ وهما حينئذ فريدا وقتهما ، ووحيدا مصرهما ، لم يعززا فى ذلك الوقت بثالث ، إذ ليس ثم من يدانيهما فضلا عن مساواتهما فى تلك الشؤون التى أربت على المثانى والمثالث ؛ واستمرت صحبتهما ، وتزايدت على طول الأيام مودتهما ، حتى توفى المترجم ، وبقى بعده الشيخ حسن فريدا عمن يشاكله ويناشده ، ويتجارى معه ويحاوره ، فسكت بعد حسن البيان ، وترك نظم الشعر والنثر ، إلا بقدر الضرورة ونفاق أهل العصر ؛

وذلك لتفاقم الخطوب ، وتزايد الكروب ، وفقد الإخوان ، وعدم الخلان ؛ واشتغل بما هو خير من ذلك ، وأبقى ثوابا فيما هنالك ؛ من تقرير العلوم وتحقيقها ، والتأليفات المتنوعة فى الفنون المختلفة وتنميقها ؛ وهو الآن على ما هو عليه من السعى فى خدمة العلم وإقراء الكتب الصعبة ، وله بذلك شهرة بين الطلاب . . . الخ » اهـ .

أما بعد ، فان من يقرأ ترجمة العطار ، التى دوّنها المرحوم العلامة أحمد بك الحسينى ، فى مقدمته لشرح كتاب الأم للشافعى ، المخطوطة فى دار الكتب الملكية ، والتى هى المرجع الوحيد ، والتى لخصها المرحوم على مبارك باشا فى الخطط التوفيقية ؛ ثم يدرس ديوان الخشاب المطبوع فى مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ ؛ أقول : إن من يقرأ هذا وتلك ، يجزم — مع الجبرتى — أنهما كانا فريدى وقتهما ، ووحيدى عصرهما ؛ وأنهما أول من حمل راية التجديد فى فجر العصر الحديث ؛ العطار فى سائر العلوم لاسيما الحكمية وما يتبعها من الرياضيات والهندسة ؛ والخشاب فى فنون الشعر والنثر ، وأن من تلاهما من أعلام التجديد ، كالسيد جمال الدين والطويل والامام ، وكصفوت الساعاتى ، والبارودى ومن بعدهم ، اقتدوا قبل أن يؤموا ، ورأوا قبسا فشوا فى ضوئه ، ونهدوا بسناه ، ووسعوا من دائرته . ويتقاضانا الإنصاف أن نضم الى المترجمين العظيمين ، صاحبهما الكريم العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ، فإنه لم يكن دونهما رغبة فى التجديد ، وشغفا بالعلم ، وعلما بأن وراء علوم الأزهر ، علوما أخرى ، لا سبيل الى رقى الفرد ، ولا الى نهوض الأمة دون الجد فى تحصيلها ، والعمل على اكتسابها .

* * *

على أن المترجمين ، وإن افترقت جهتا فوقهما ، يلتقيان فى أن كلا منهما عالج قرض الشعر ، وله فى فنونه مضطرب ، يناسب عصرهما حينا ويسمو حينا ؛ ولهما فيه مساجلات ، لفت نظرى من بينها موشحتان ، بدأ العطار فنظم أولاهما ، وعارضه الخشاب فنظم الأخرى .

وقد رأيت أن أجعلهما موضوع « موازنة » بين المترجمين ؛ ثم بينهما وبين وشاحى العصر الحاضر ، فى حديث آخر ، فقد طال هذا الحديث .

من طرائف القرآن الكريم

لفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الغنى عوض الراجحى
المدرس بمعهد القاهرة ومبعوث الأزهر الى لبنان

كنت أثناء اضطلاعى بعمل رسالتى « متشابه النظم فى قصص القرآن الكريم » كثيرا ما يفضى بى النظر تتابعه والاسترسال فيه إلى طرائف قرآنية لم يصرفنى أنها كانت على هامش الرسالة عن تقييدها ، تمهيداً لتخصيصها ببحث مستقل ، والحقائق ضالة الباحث أنى وجدها التقطها .

كان عملى فى جوهره قائما على دراسة القصة فى القرآن : كيف جاءت القصة الواحدة فى سورة على كيفية من الألفاظ والعبارات ، ثم جاءت هذه القصة نفسها فى سورة أخرى على كيفية أخرى من الألفاظ والعبارات ، تختلف الحكاية فى موضع عنها فى آخر ، والمحكى فى أصله شىء واحد (١) .

كان بيان السر فى ذلك كثيرا ما يجرنى الى بيان السياق والسباق واللحاق لكل قصة فى كل سورة ، وكان ذلك بدوره يجرنى الى مراجعة السورة مراجعة إجمالية ، واستحضارها بصفة عمومية بحيث تكون من أفقها الى بنيها أمام ناظرى كباقة الزهر لا تكاد تختفى فيها زهرة ، وعلى مسمعى كحوقة الموسيقى لا تكاد تند منها نغمة .

وعلى ضوء هذا العمل سرعان ما ظهر لى أنه كثيرا ما يكون للسورة من القرآن ظاهرة تشيع فيها ، وتنساب خلال آياتها ، وتبدو واضحة البيان قوية المعالم فيما يتجاور أو يتقارب من الآيات .

هذه الظاهرة أعم من أن تكون معنى من المعانى ، أو لفظا من الألفاظ ، أو طريقة من طرق الأداء أو نحو ذلك ؛ كما أنها قد تكون سبباً فى العدول

---

(١) راجع مثالا لذلك فى قصة آدم حيث ذكرت فى السور البقرة ، الاعراف ، الحجر ، الاسراء ، الكهف ، طه ، ص .

عن طريقة سوق القصة فى سورة الى طريقة سوقها فى سورة أخرى ، وفى العدول عن لفظ الى آخر ، وعن وجه الى آخر ، ونحو ذلك .

انظر مثلا سورة (طه) تصفحها وتتبع آياتها تجدها قد شاع فيها الذكر والنسيان وما يشتق منهما ويدور حولهما ، الأمر الذى كان سببا فى سوق قصة آدم فيها مفتتحة بقوله تعالى « ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » مقتصراً فيها على الإطناب فى ذكر دخول آدم الجنة ، وعهد الله إليه بعدم الأكل من الشجرة ، ونسيانه عهد ربه ، وهبوطه الى الأرض ، مع التنويه له بذكر الله الذى من أعرض عنه فإن له معيشة ضنكا ويحشره الله يوم القيامة أعمى « قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » .

على أن سورة (ص) قد شاع فيها الشقاق والخصام ، فكان بدء القصة فيها بقوله تعالى : « ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون » ، وكان الاقتصار فيها على الإطناب فى حكاية ما كان بين إبليس وربه من مقاولات الخصومة والنزاع ، دون التعرض فيها لمسألة دخول آدم الجنة ونسيانه عهد ربه ، كما لم يتعرض فى سورة (طه) فى نفس القصة للخصومة والمقاولات بين إبليس وربه .

أما أن سورة (ص) قد شاع فيها الشقاق والخصام « فالذين كفروا فى عزة وشقاق » الآية ٢ ، وقصة داود فيها كثير من الخصومة باللفظ والمعنى من الآية ١٧ إلى الآية ٢٦ ، وأهل النار عند النهاية فى تخاصم ، الآية ٩٦ وما بعدها .

أما أن سورة (طه) قد شاع فيها الذكر والنسيان فذلك يغنينى عن الإطالة فى بيانه الرجوع إلى الآيات ٣ ، ١٤ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٨٨ ، ٩٩ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٢٦ (١) .

---

(١) قد ذكر من أرقام الآيات مع ما تشهد له من حقائق فى هذا المقال إنما هو بغية مفتاح فى يد الباحث يتسنى له الولوج إلى مداخل هذا البحث معتمدا على مجهوده الخصوصى فأنى لم أجد — فيما ترامى إليه بحثى — أحدا ذكر شيئا عن هذه الظاهرة فى سور القرآن . والسيوطى رحمه الله فى طول باعه فى أمثال هذه المباحث قد حام حولها ولم ينفذ إليها وكانت منه على ضربة معول فلم يضربها . راجع كتابه الاتقان فى علوم القرآن ص ١٢٣ ج ٢ ط الحلبى .

وانظر مثلا آخر سورة يوسف، ترها وقد شاعت فيها الرؤيا وتأويلها؛ فالآيات ٤، ٥، ٦، رؤيا وتأويلها، والآية ٣٦ مع الآية ٤١ رؤيا وتأويلها، ومن الآية ٤٣ إلى الآية ٤٩ رؤيا وتأويلها، والآيتان ١٠٠، ١٠١ حديث عن الرؤيا وتأويلها.

ثم انظر إليها أيضا وقد شاع فيها المكر والكيد والتدبير؛ فإخوة يوسف يستخلصونه من أبيه بحيلة «أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون»، وإنما أخذوه للإيقاع به ثم يبرئون أنفسهم أمام أبيهم بحيلة أن جاءوا على قميصه بدم كذب «وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب، وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين».

ثم تقيض له النجاة من الجب بتدبير بالغ اللطف من الله، حيث جاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه، قال: يا بشرى هذا غلام. ثم تدبر له امرأة العزيز أحكم الحيل حيث غلقت الأبواب وقالت هيت لك، ولما سمعت بمكر النسوة في المدينة لقولهن: امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين، مكرت بهن فأعتدت لهن متكأ، وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم، قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم، ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين ثم يدبر الله ليوسف خروجه من السجن وظهوره بمظهر الحاكم الأمين على خزائن الأرض، حيث رأى عزيز مصر أحلاما عسر تأويلها، وتأويلها يوسف رجل كان مسجونا له في سجنه وعلم من تأويله للأحلام ما لا يعلمون. ويدبر استخراج يوسف إخوته مرة ثانية الى مصر بحيلة «اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون»، وإنما كان ذلك لأجل أن يعرفوا لهم من أبيهم كما قال «ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين. فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون»، ثم يستبقي لديه أخاه بحيلة أن جعل السقاية في رحله ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون «فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه»، وكانوا قد

قو « من وجدفى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين » وفى الآية ٥٥ « فيكيدوا
ك كيدا » وفى الآية ٧٦ « نه من كيدكن إن كيدكن عظيم » وفى الآية ٣١ « فلما
سمعت بمكرهن » وفى الآية ٣٣ « وإلا تصرف عنى كيدهن » وفى الآية ٣٤
فصرف عنه كيدهن وفى الآية ٥٠ « إن ربى بكيدهن عليم » وفى الآية ٧٦
كذلك كدنا ليوسف وفى الآية ١٠٣ « إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » وفى
لآية ٥٢ « إن الله لا يهدى كيد الخائنين » .

وانظر مثلا آخر سورة الأنبياء فقد شاعت فيها طريقة ختم الآية بالسكون
لمدغم يقع خبره فاصلة آخرها نون قبلها واو أو ياء ، الآيات ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٧ ،
٢٨ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ،
٨٣ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٩٤ .

وانظر مثلا آخر سورة مريم فانها قد شاع فيها ذكر الرحمة والرحمن حتى
هى يتوهم أن هذا الرحمة فيه أقرب كما فى قول ابراهيم لأبيه « يا أبت إنى أخاف أن
يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا » وقد تردد ذكر هذين اللفظين
فى الآيات ٢ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٥ ،
٧٨ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

افتتحت السورة بذكر الرحمة فى قوله تعالى « ذكر رحمة ربك عبده
زكريا » فجعل هذا المطلع الرحيم تنتظم السورة كلها ، كما أنه على أثر هذا
الذكر فى هذه الآية وهى مطلع قصة زكريا توارد سائر قصص السورة
فجعل كل ذكر فى مقامه على وتيرة واحدة واذكر فى الكتاب مريم » الآية ١٦
واذكر فى الكتاب إبراهيم » الآية ٤١ « واذكر فى الكتاب موسى
الآية ٥١ « واذكر فى الكتاب إسماعيل » الآية ٥٤ « واذكر فى الكتاب
إدريس » الآية ٥٦ .

وانظر مثلا آخر سورة الشعراء ، فقد شاع فيها ذكر تكذيب الأقوام
وسخريتهم ونصرة الرسل لهم بطريقة موحدة . فالآية ١٠٥ وما بعدها « كذبت
قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . إنى لكم رسول أمين .
فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين » .

والآية ١٢٣ وما بعدها « كذبت عاد المرسلين . إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون . إنى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين » والآية ١٤١ وما بعدها « كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . إنى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين

والآية ١٦٠ وما بعدها « كذبت قوم لوط المرسلين . إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون . إنى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين » .

والآية ١٧٦ وما بعدها « كذب أصحاب الأيكة المرسلين . إذ قال لهم شعيب ألا تتقون . إنى لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين » . ثم أخذ هذا التكذيب كله بحجزة التكذيب المذكور عن أهل مكة فى مطلع السورة الكريمة حيث يقول تعالى فيهم الآية ٦ « فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون » ثم انظر الى نفس السورة كيف شاع فيها ذكر هاتين الآيتين المتلازمتين تكتنفها ان كل قصة فى السورة « إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم » الآيات ٧ ، ٨ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٩٠ ، ١٩١ .

كم تأخذ هذه الآيات بحجزة الآية المذكورة مطلع السورة الكريمة فى الآية ٤ حيث يقول الله فى أهل مكة « إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » .

وانظر مثلا آخر سورة القمر كيف شاع فيها ذكر التكذيب من الأقوام لرسلهم على وتيرة متشابهة قصة نوح « كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا » الآية ٨ وما بعدها .

قصة هود « كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر » الآية ١٨ وما بعدها .

قصة صالح « كذبت ثمود بالنذر » الآية ٢٣ وما بعدها .

قصة لوط « كذبت قوم لوط بالنذر » الآية ٣٣ وما بعدها .

قصة آل فرعون « كذبوا بآياتنا كلها » الآية ٤٢ ، ثم كان ذلك التكذيب كله آخذا بحجزة التكذيب المذكور فى مطلع السورة عن أهل مكة حيث يقول تعالى فيها الآية ٣ « وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر »

ثم شاع فى نفس السورة أيضا ذكر « النذر » الآيات ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، وكان ذلك كله آخذا بحجزة المذكور مطلع السورة الآية ٥ حيث يقول تعالى « حكمة بالغة فما تغن النذر »

ثم شاع فى نفس السورة أيضا قوله تعالى « فهل من مدكر » الآيات ١٥ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٥١ ، وكان بمثابة قرع العصا لأهل مكة مرات ومرات ، وكان فى الوقت نفسه آخذا بحجزة المذكور مطلع السورة الآية ٤ حيث يقول تعالى فى أهل مكة « ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر »

وانظر مثلا آخر وأخيرا سورة الرحمن ، والمرسلات كيف شاع فى الأولى قوله تعالى « فبأى آلاء ربكما تكذبان » وفى الثانية قوله تعالى « ويل يومئذ للمكذبين » (١) .

إن سور القرآن روضات واضحة الحدود والمعالم ، لكل روضة رواء خاص وحسن متميز يتعرف فيها وهو على شىء كثير من التشابه فى مظهره ، والتناسب فى جوهره « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .

جواد

نظر خالد بن عبد الله القسرى من مظلة له يوما فرأى أعرابيا مقبلا على بعير له فقال لحاجبه : إذا قدم فلا تحجبه ، فلما قدم سلم وقال :

أصحك الله فما بيدى ... فما أطيق العيال إذ كثروا
أتاح دهر ألقى بكلكله ... أرسلونى اليك وانتظروا

فقال خالد : إذن لا تنزل لكى تسرع اليهم بما يسرهم . وأمر له بجائزة .

(١) راجع أيضا سورة الحاقة والصافات والكهف لملك وجدتهم ما هو من هذا القبيل .

بحث فى مقارنة الشرائع الوضعية

بالشريعة الاسلامية

لحضرة الأستاذ صبحى بكير
المدرس بكلية أصول الدين

محرمات من النساء وإجازة الزواج

بينا فيما سبق أن الزواج يحرم بين الرجل والمرأة إذا كانت بينهما قرابة أو مصاهرة ؛ وتضيف الشريعة الإسلامية الى ذلك الرضاع

والتحريم يرجع الى عوامل فسيولوجية ، وهى أنه يؤدى الى ضعف النسل وانتشار الأمراض ، كما يرجع الى عوامل خلقية واجتماعية

ومع ذلك ففى بعض الأحوال الخاصة لبعض الشرائع غير الاسلامية يصح التجاوز فيها عن هذا التحريم ، فيرخص بالزواج وبالمعاشرة الزوجية

أولا — ففى عهد التشريع الكنسى أدى تدخل رجال الدين فى الشئون الكنسية والتى ترتب عليها حصول اضطراب كبير فى العلاقات الخاصة بالزواج وتتجاوز عن بعض الموانع ، وكان ذلك لا يعد من الموانع . وفى العهد الأول للكنيسة ما كانت توحد تراخيص تتعلق بالزواج وتختص بالمحاكمة ، حيث لم يكن للكنيسة سلطان على تنظيمها من الناحية المدنية للزواج ، إلا السلطة التأديبية ، فللقاضى الكنسى من الناحية المدنية للزواج أن يقضى فقط عراه .

وحينما أصبح للقانون الكنسى تشريع حقيقى بالنسبة لعقد الزواج ، ظهرت نظرية الاجازة والترخيص كامتياز خاص وهو حق للمشرع فقط .

وفى القرن الثانى عشر على الأقل كان البابا يحتفظ بالسلطة العامة لمنح تراخيص الزواج ووضع القواعد والشروط التى تحدد تطبيقاتها . وحينما حصل النزاع فى حق تشريع مادة الزواج بين الدولة والكنيسة ، لم تتوان الدولة فى أن تدعى لنفسها حق الترخيص بالنسبة للموانع التى قررتها هذه .

وقد تقرر أن الموانع التى منشؤها حق طبيعى أو حق إلهى لا تلحقها الاجازة ، أما الموانع التى منشؤها يرجع الى الحقوق الوضعية ، فانها هى التى تكون محل إجازة وترخيص ، سواء كان ذلك تشريع الكنيسة أو تشريع الدولة ، كالترخيص بزواج الأعمام أو الأخوال أو العمات أو الخالات مع أولاد الأخ أو أولاد الأخت ، وكالترخيص بالزواج بين أولاد الأعمام أو أولاد الأخوال أو أولاد العمات أو أولاد الخالات ، وكالترخيص بالزواج بين بعولة الزوجين ، وكالترخيص بالزواج بين بعض أقارب الزوجين الخ .

وقد قرر مجلس الشيوخ عدم منح تراخيص الزواج إلا فى أحوال نادرة ولأسباب هامة ، ومع ذلك فانه لم يراع هذا القرار حيث تضاعف عدد الموانع بصورة زيادة فاحشة ، فمن ذلك عدم كفاية الدوطة ، وسن الخمس والعشرين سنة كميعاد ، وكالإلحاد الخفى ، وكوسيلة لإنهاء دعوى هامة قائمة ، وكالاحتفاظ بأموال الأسرة محترمة ، وغير ذلك .

ويجرى طلب الترخيص بأن يكون برفع عريضة للبابا الذى يرسل بدوره تحقيقا عن طريق رسالة لكاهن المنتدب الذى يقوم بتحقيق الوقائع الموجبة للترخيص للمشروع .

وأما القوانين الحديثة فقد ظهرت شديدة الحرص فى هذه المسألة حيث لم تبق من الموانع إلا ما كان ضروريا ، فمثلا القانون المدنى الفرنسى لا يجيز الترخيص بالزواج الممنوع إلا فى أحوال ضيقة ، فهو لا يجيز مطلقا الزواج بين أصهار النسب (بين الأصول والفروع) كما لا يجيز الزواج بين أولاد المتبنى والمتبنى أو بالعكس ، ولكنه يرخص الزواج بين بعض الأقارب والأصهار ، بشرط أن يكون هناك أسباب خطيرة ، وبشرط موافقة رئيس الدولة على ذلك ، فقد نصت المادة ١٩٤ على ما يأتى :

بطلان الزواج وإلغاؤه — عموميات :

البطلان المطلق والبطلان النسبي

الجزاء المترتب على مخالفة الشروط المقررة لعقد الزواج هو فصم وانحلال عرى الزوجية . وقد كان قديما بطلان الزواج وانفساخه من اختصاص المحاكم الكنسية والبرلمانات . وقد نشأت عن ذلك حلول سيئات لأن يأخذ بها القانون المدنى الفرنسى فيما بعد ، خصوصا التمييز بين الموانع المحرمة تحريما بسيطا ، وبين الموانع المحرمة تحريما مطلقا قاضيا ، والمؤدية الى إبطال الزواج واعتباره كأن لم يكن ، كما هيأت هذه الحلول أيضا للقانون المذكور نظرية البطلان المطلق والبطلان النسبي . والفرق بينهما أن البطلان المطلق يبيح لكل ذى مصلحة فى رفع دعوى الابطال كما يبيح ذلك أيضا للنيابة العمومية ، (وهذا يشبه دعوى الحسبة) بينما أن البطلان النسبي لا يبيح رفع دعوى الابطال إلا للزوجين أو لأحدهما أو لأقاربهما فقط . وقد زالت أهمية بطلان الزواج أمام ظهور تشريع الطلاق ؛ إذ أنه فى العهد القديم كان الطلاق غير مباح وغير مشروع ، كما كان الالتجاء الى إبطال الزواج هو الشائع كواسطة لانهاء الزوجية ، وكانت أحواله كثيرة ؛ فقد كان يكفى الغلط أو الاكراه مثلا للحكم ببطلان الزواج ، وكان هذا يقوم مقام الطلاق . والفرق بين البطلان والطلاق أن الطلاق يفصم عرى الزوجية مستقبلا بينما يعتبر الزواج كأن لم يكن .

أحوال البطلان فى القانون المدنى الفرنسى

أحوال البطلان التى نص عليها هذا القانون ست : (١) عدم رضا الزوجين أو أحدهما (٢) عدم موافقة القريب الذى له حق الموافقة على الزواج بالنسبة للقاصر ، وهاتان الحالتان ترجعان الى حماية إرادة الزوجين . وأما الثلاثة

الباقية فترجع الى النظام العام ، ولذا فالبطلان المترتب عليها بطلان مطلق ، وهى (٣) عدم البلوغ (٤) قيام زوجية لأحد الزوجين أو لكليهما (٥) الزوج بأحارم (٦) عدم مراعاة شرط من الشروط الشكلية الجوهرية كالإشهار ، وكاختصاص مأمور الأحوال المدنية الخ . وسنتحدث عن أحكام نوعى البطلان.

البطلان النسبى

(١) من أسباب البطلان النسبى عيوب الرضا كالغلط والإكراه والغش ، وهى معروفة ؛ ومع ذلك فإن عيوب الرضا أساسا ليست سببا لبطلان الزواج اللهم إلا إذا كان الاكراه خطيرا ؛ وأما الخوف من الوالدين الناشىء عن الاحترام فلا يعتبر سببا لبطلان الزواج ، بينما الغلط لا يكون سببا للبطلان إلا إذا كان الغلط واقعا على ذات الشخص . وهذا لا يتأتى الآن عمليا لأنه طبقا للقانون المدنى الفرنسى لابد من حضور الزوجين أمام مأمور الأحوال المدنية ، وهذا يبعد كثيرا الوقوع فى الغلط على ذات الشخص ، ولكن المحاكم الفرنسية ذهبت الى إمكان الحكم بابطال الزواج فى حالة الغلط فى الصفات الجوهرية للشخص ، إذ تعتبر هذه الصفات كذات الشخص ، فالغلط فيها يعتبر كالغلط فى ذات الشخص .

ثم ليس لأحد خلاف الزوجين طلب إبطال الزواج ، ولكن المعاشرة لمدة ستة أشهر بعد زوال الاكراه أو العلم بالغلط تعتبر إجازة ضمنية للزواج وقد تكون صريحة بالموافقة بالقول .

(٢) ومن أسباب بطلان الزواج عدم الموافقة عليه ممن له حق الموافقة، وذلك بالنسبة لزواج القاصر . وحق طلب إبطال الزواج قاصر فقط على من له حق الموافقة ، وقد حدد القانون مدة لرفع دعوى الابطال ، فالسكوت طول هذه المدة يعتبر إجازة ضمنية ، وقد تستخلص الاجازة الضمنية أيضا من بعض الوقائع والظروف ، وكما تكون الاجازة صريحة بالقول .

أسباب البطلان المطلق :

هى (١) عدم الرضا من الزوجين أو من أحدهما (٢) عدم البلوغ القانونى

(٣) وجود زوجية قائمة لأحد الزوجين أو كليهما خلاف هذه الزوجية (٤) الزواج بأحد المحارم (٥) عدم الاشهاد (٦) عدم اختصاص مأمور الأحوال المدنية . وهذه الأسباب تبيح لكل ذى مصلحة كما للنيابة العمومية طلب إبطال الزواج . وهذ البطلان لا تلحقه الاجازة ومع ذلك ففى بعض الأحوال يصح إجازة هذا الزواج وينقلب صحيحا .

هل هناك أحوال يمكن أن يعتبر فيها الزواج غير موجود ؟

لم يشر القانون المدنى الفرنسى الى هذه الأحوال ، ولكن يستفاد ذلك من القواعد المقررة لإجراء عقد الزواج ، فلا يمكن مثلا أن يقال إن هناك زوجية عند اتحاد جنسى المتعاقدين ، وكعدم إشهار الزواج أو كعدم تدخل مأمور الأحوال المدنية ، أو كعدم تسجيل عقد الزواج فى السجل . ففى مثل هذه الأحوال لا يمكن أن يقال بوجود زوجية . والفرق بين البطلان المطلق وعدم وجود الزوجية أن البطلان المطلق قد تلحقه الإجازة فى بعض الصور ، بينما عدم الوجود لا تلحقه الأجازة ، لأنها فرع الوجود وتصحيح الخطأ

آثار بطلان الزواج :

يترتب على بطلان الزواج انعدام آثاره فى الماضى والمستقبل ، بينما فى حالتى الطلاق والوفاة تنعدم الآثار فى المستقبل دون الماضى . والأصل أن الزواج الذى حكم ببطلانه يعتبر كأنه لم يكن ، ولم يخرج عن كونه معاشرة غير قانونية فتعتبر الأولاد أولاداً غير شرعيين ، ولا تسقط أهلية المرأة فى التصرفات ، كما أن العقد الخاص بالنظام المالى بين الزوجين يعتبر كأنه لم يكن الخ .

ويلاحظ أن المرأة التى حكم ببطلان زواجها لا يجوز لها أن تعقد زواجا جديداً من شخص آخر قبل خروجها من العدة ، وهى عشرة أشهر من وقت صدور الحكم بالبطلان .

الزواج الفاسد .

ولخطورة هذه النتائج وقسوتها بالنسبة للزوجين أو لأحدهما ، وبالنسبة

للأولاد، بدعت الكنيسة ابتداء نظرية الزواج الفاسد. وملخصها أن الزواج الذى حكم ببطلانه يعتبر كأنه زواج صحيح بالنسبة للأولاد، وكذلك بالنسبة للزوجين أو لأحدهما إذا ثبتت حسن نيتهما أو حسن نية أحدهما. وعلى هذا فتعتبر الأولاد أولاداً شرعيين، وعلى الزوجين أن يفترقا وينقطعا عن المعاشرة ويعيدا لزواجهما ضبقا للشروط والأوضاع القانونية. وقد أقر القضاء الفرنسى هذا المبدأ واتبعه.

الشريعة الاسلامية

إذا رجعنا لمذهب الأحناف نجد أنه عرف الباطل بأنه العقد الذى لم يشرع أصله ولا بوصفه، والفاسد ما شرع بأصله دون وصفه. فالزواج الباطل هو كما إذا حصل خلل فى صيغة العقد أو خلل فى أصل أهلية المتعاقدين لفقد التمييز كالجنون أو الصغر. وهذا الزواج يعتبر كأنه لم يكن، ويعتبر وجوده كعدمه، ويعتبر الدخول بمنزلة الزنا، فلا عدة على المدخول بها بعد المتاركة، ولا تثبت به نسب، ولا حرمة مصاهرة، ولا توارث، ولا مهر، ولا نفقة ولا طاعة.

وأما الزواج الفاسد فهو كما إذا اختل شرط من شروط صحته كعقد الزواج بغير شهود. ومجرد هذا العقد لا يترتب عليه أثر ما، بمعنى أن المتزوجين زواجا فاسدا إذا افترقا قبل الدخول لا تثبت به عدة ولا مهر ولا حرمة مصاهرة ولا نسب ولا ميراث. أما إذا دخل الزوج دخولا حقيقيا فيترتب على ذلك: (١) وجوب المهر على الزوج، إما مهر المثل أو الأقل من المسمى ومن مهر المثل إن سمى فى العقد مهر. (٢) وجوب العدة على الزوجة بعد التفريق. (٣) ثبوت النسب. (٤) حرمة المصاهرة، وما عدا هذه الآثار الأربعة فلا يترتب على الزواج الفاسد أثر آخر كالتوارث والنفقة والطاعة وحل الاستمتاع.

ودعوى التفريق تثبت لكل مسلم لأنها من دعاوى الحسبة إزالة للمنكر. وأما المالكية والشافعية فلا يفرقون بين الباطل والفاسد. وعلى هذا فكل نكاح لم تتوفر فيه الشروط المقررة فهو نكاح باطل وفاسد، وأما من حيث الأثر وخصوصا النسب فقد وضع المالكية قاعدة عامة وهى:

« كل نكاح يندرىء به الحد فالولد لاحق بالوطىء ، وكل نكاح يجب فيه الحد لا يلحق الولد بالواطىء » .

ويستنتج مما سبق :

(١) أن الشريعة الاسلامية لم تقع فى ذلك الاضطراب الذى وقعت فيه الشرائع الأخرى .

(٢) عدم وجود ما يسمى بالترخيص أو إجازة الزواج فى الشريعة الاسلامية ، وهذا واضح لعدم وجود تعقيد فى عقد النكاح الاسلامى .

(٣) لا توجد فى الشريعة الاسلامية دعوى بطلان الزواج لأن البطلان أو الفساد ثابتان ، وإنما القاضى يحكم بالتفريق بعد ثبوت البطلان أو الفساد .

(٤) دعوى التفريق فى الشريعة الاسلامية حق لكل مسلم من باب إزالة المنكر . وبهذا يتضح تفوق الشريعة الاسلامية على غيرها من الشرائع الأخرى تمشيها مع المنطق والأخلاق ، وأن قواعد النكاح التى وضعتها جاءت من التعقيد والاضطراب ، فأصبحت صالحة لكل عصر . وهذه ميزة لا توجد فى الشرائع الأخرى التى تغير كل يوم فى قواعد زواجها . وهذا فخر عظيم الفقه الاسلامى والشريعة الاسلامية ؟

أجوبة محكمة

قال هرون الرشيد لعبد الملك بن صالح : أكفراً بالنعمة وغدراً بالامام؟ فقال الرجل: ماذلك ياأمير المؤمنين إلا بغى باغ نافسنى فيك بقديم الولاية وحق القرابة.

فقال الرشيد : هذا قمامة كاتبك يخبرنى بفعلك . فقال عبد الملك : أحقا يا قمامة ؟ قال نعم ، لقد أردت خلع أمير المؤمنين والغدر به . فقال عبد الملك . كيف لا يكذب علىّ من خانى من بهتنى فى وجهى .

قال الرشيد : هذا ابنك شاهد عليك. قال عبد الملك: ياأمير المؤمنين هو بين مأمور أو عاق. فان كان مأمورا فمعذور، وإن كان عاقا فما أخاف من عقوقه أكثر

لغـــويات

القيثارة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد على النجار
المدرس بكلية اللغة العربية

جرى هذا اللفظ هكذا فى عبارات المحدثين . وهو لضرب من آلات اللهو ذى ستة أوتار تحرك بالأصابع فيأتى من ذلك غناء مطرب . وهذا اللفظ معرب عن جيتار فى الفرنسية guitare ، وهو مبدوء بالحرف الذى بين الجيم والكاف ، و يعرف بالجيم الفارسية . فترى أنهم أبدلوه قافا ، لما لم يكن هذا الحرف من حروف العربية الفصيحة . و إنى أختار وأستحب أن يكون بدل هذا الحرف جيم عربية ، فيقال : الجيثارة . وقد فعل العرب ذلك بكلمات كثيرة عربوها على هذا النحو. فقد قالوا الجام وأصله لكام بالكاف الفارسية ، وقالوا آجر ، وأصله أيضا فى الفارسية آكر ، وقالوا الجرداب لوسط البحر ، وأصله الجيم الفارسية ، إلى كثير من المعربات على هذا النسق. على أن العرب فى قليل من الألفاظ أبدلت من الجيم الفارسية قافا ، وكافا، فقالوا : قَرْبَق ، وكَرْبَق لدكان البقال ، وأصل الكاف والقاف فيه الكاف الفارسية . و إنى أسوق إليك نصا لإمام النحو سيبويه إذ يقول : « يبدلون من الحرف الذى بين الكاف والجيم الجيم لقربها منها . ولم يكن من إبدالها بدّ ، لأنها ليست من حروفهم . وذلك نحو الجربز ، والآجر والجورب . وربما أبدلوا القاف ، لأنها قريبة أيضا ، قال بعضهم : قربز ، وقالوا : كربق وقربق(١) » والجُرْبُز: الخب الخبيث، وهو معرب عن الفارسية . ولقد وقفت على صورة للكلمة (قيثارة) قديمة أتت بالكاف . وذلك فى شعر أبى عامر ابن شُهَيد الأديب الأندلسى . وذلك حيث يقول (٢) :

تغنيه أطيار القيان إذا انتشى بصنج وكيثار وعود كِران

(١) من الكتاب ج ٢ ص ٣٤٢ (٢) من الذخيرة ج ١ ، ص ٢٦٧

وخير لنا أن نتبع هذا التعريب القديم إذا لم نصر إلى الجيثارة . ومما يحسن ذكره فى هذا المقام أن اللفظة انتقلت إلى الفرنسية عن الأسبانية وهى فى لغتها الأسبانية جسترا guistarra فدخلت الفرنسية بحكم الجوار ، ودخلت العربية فيما يبدو عن الأسبانية بحكم المخالطة والمداخلة فى الأندلس فى عهده السعيد . وفى بعض المعاجم أن الكلمة فى الأغريقية ، ويحتمل أن تكون العربية أخذت عنها . وما ذكرناه هو الأرجح .

ويرى القارىء مما سبق أن ابن شهيد استعمل الكيثار غير مختتمة بتاء التأنيث . ويستعملها المحدثون تارة مجردة من التاء كما فعل ابن شهيد . انظر الى قول الأستاذ محمد الصياد (١) :

ألقيت للنار فى غفلة منى
عودى وقيثارى وقلت لى : غنّ

وتارة بالتاء ـ وهو الجارى فى الاستعمال ـ ومن ذلك قول الأستاذ (٢) أنور العطار فى البصرة :

مدينة الماء والرواء فتنت بالحسن كل راء
وهجت قيثارة الفضاء بأعذب الشعر والغناء

احتج العمال على سوء معاملتهم

ترى هذا وأمثاله كثيرا . يستعمل الاحتجاج فى موضع الإنكار والسخط لبعض الأشياء التى تنوب امرأ أو طائفة أو شعبا من الشعوب . فالدولة تحتج لدى الدولة الملانية أن أهين سفيرها ، وأذيل نائبها ؛ والشعب يحتج على إنكار حقه وهضمه ، وهكذا مما لا تكاد صحيفة دورية تخلو منه . والاحتجاج فى وضعه اللغوى هو الإدلاء بالحجة والدليل لتأييد الدعوى ، وتمكينها ، ولا تراه فى وضعه يدل على الانكار الذى أطبق الناس على استعماله فيه . والبحث يهدى إلى أن مردّ هذا الاستعمال فى العربية الترجمة لأسلوب غربى يأتى فيه ما يقابل لفظ الاحتجاج لمعنى الانكار . ويلحظ أن الأسلوب الغربى تقرن فيه مادة الاحتجاج بعبارة تدل على المخالفة والمخاصمة فيقال فى الفرنسية :

١ — من مجلة الكتاب جزء نوفمبر سنة ١٩٤٧ .
٢ — المصدر السابق .

أحتج فى مـواجهة جـور واقع . Je proteste contre une injustice

وهذه العبارة التى تقارن مادة الاحتجاج تشير بها معنى الإنكار والاستياء ، وليس كذلك ما يقرن مادة الاحتجاج فى العربية ؛ فإنها توقع السامع فى لبس وإبهام. فالمعنى الوضعى لقولك : أحتج على إهانتى : أنى أقيم الحجة على هذا الأمر وأعتقده وأدفع عنه . ويجوز لبعض الباحثين أن يخرج هذا الأسلوب على المجاز ، فيزعم أن الانـكار يدعو الى الاحتجاج والاستدلال وبيان ما يدعو اليه من الأسباب ، وقد دل بالمسبب وهو الاحتجاج على السبب وهو الانـكار . وقد علمت أن الداعى لاستعمال الاحتجاج فى الانـكار لم يكن هـذا الذى يذكره هذا الباحث ، وإنما هو الترجمة للأسلوب الغربى ، كما عرفت. والأسلوب الغربى قد لابسه ما يقربه من معنى الانـكار ، وقـد خلا عن ذلك الأسلوب العربى . فالأولى للأدباء هجر هـذا الاستعمال ، والعود الى أن يستبدلوا به مادة الانـكار أو السخط أو الاستياء ، وما جرى هذا المجرى .

أخطركم بكذا

تستعمل مادة الإخطار بالشىء فى الإعلام به . يقول الناس فى هذا العصر : أخطرت فلانا بكذا ، وأخطر الرئيس العامل أنه فصل واستغنى عنه ، وأخطر صاحب البيت الساكن بالاخلاء ، يراد أنه أعلمه بذلك . ولا نرى هـذا المعنى المـادة فى اللغة ؛ غير أن عندى لها تخريجا : أن يكون هذا الأسلوب على القلب فى القصة ؛ والأصل أن يقال : أخطر بك هـذا الأمر أى أجعله يخطر بك ، يقال : أخطر الله بباله أمر كذا : وضعه فى خاطره وروعه وقلبه . وذلك فيه معنى الاعلام . فمعنى أخطر بك كذا : أشعرك به وأدريك ، فقلب هذا فقيل : أخطرك بكذا . والقلب يجرى فى الخاطبات كثيرا ؛ من ذلك عرضت الحوض على الناقة ، وخلعت رأسى من القلنسوة ـ وقد سلف لنا بحث فى القلب يحسن الرجوع اليه فى هذه المجلة ـ وقد رأيت أن الإخطار كثيرا ما يستعمل فى الإعلام بالأمر المـكروه ، وهو يرادف فى هذه الحالة الإنذار . ومما يستعمل فى بعض الحين فى معنى الانذار : الايذان . فهو فى وضعه الأصلى للاعلام ، يقال : أذنته بكذا : أعلمته . ومن استعماله فى الانذار قوله تعالى : فإن تولوا فقل

آذنتكم على سواء» . قال الزمخشري : «وآذن منقول من أذن إذا علم . ولكنه كثر استعماله في الجرى مجرى الانذار، ومنه قوله تعالى: « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » ، وقول ابن حلزة : آذنتنا ببينها أسماء » .

مرافق لهذا صورة لشهادة الميلاد

ترى هذا الأسلوب في الكتابات الديوانية . وكثيرا مايجد القارىء مثل هذه العبارة : مقتطع من راتب فلان خمسة قروش . والمتبادر في هذا الأسلوب أن يكون الوصف الذى بدئت به الجملة خبرا مقدما وذو الوصف مبتدأ مؤخر ، فرافق خبر ، وصورة مبتدأ ، وهكذا على هذا النحو . ولكن يقوم في وجه هذا التخريج أن الخبر يجب أن يكون مطابقا للمبتدأ ، فكان الواجب أن يقال : مرافقة لهذا صورة ... وعلى ذلك لا يستقيم هذا الوجه . والتخريج الصحيح أن يكون مرافق مبتدأ وصورة فاعلاله سد مسد الخبر ، ولا يجب تأنيث المبتدأ في هذه الحالة . وترى أن الوصف استغنى برفوعه عن الخبر دون أن يعتمد على نفى أو استفهام ، وهذا رأى الأخفش والكوفيين . ولا بأس باتباعه لتصحيح هذا الأسلوب الجارى بين الناس .

دخل الطلبة المدرسة اثنين اثنين

يتردد هذا الأسلوب في الدلالة على تكرار العدد ، فيكررون اسم العدد كما ترى . والمعروف عن العرب في هذا أن يأتوا بلفظ واحد بدلا من العدد المكرر ؛ فيقال : دخل الطلبة المدرسة مثنى أو ثناء ، يعدلون إلى إحدى هاتين الصيغتين عن اثنين اثنين . وهكذا يقولون : دخلوا أحاد وموحد ، وثلاث ومثلث ، ورباع ومَرْبع . وفيما جاوز هذه الأعداد خلاف طويل الذيل بين علماء العربية لا يعنينا تفصيله وبسطه في هذا المقام . وقد ذكرت هذا حين وقع نظرى في صحيفة أخبار اليوم ٣ / ٥ / ١٩٤٧ على النبأ الآتى : « اتفق ستون من طلاب جامعة لوفان على أن يخرجوا من جامعتهم اثنين اثنين في الساعة التاسعة صباحا » ، وقلت : إن هذا خطأ من الكاتب لم يوافق الاستعمال العربى الصحيح ، ولو توخاه لقال : على أن يخرجوا من جامعتهم مثنى ، أو ثناء . وقد كنت مقتنعا بهذا الحكم منذ قراءتى لشرح الأشمونى ؛

فقد وقفت حين ذاك فى حواشى الألفية للشيخ يس على قوله : « لا يقال : جاءوا واحدا واحدا ، ولا اثنين اثنين ؛ لأن العرب قد عدلوا عن ذلك إلى أحاد وثنى ، وكذا أخواتهن . فهذا من الأصول المهجورة نص عليه فى الدُرّة». ورجعت إلى الدرة ، وهى دُرّة الغواص للحريرى ، فألفيت النقل صحيحا لم يخرم منه الشيخ يس حرفا . وأردت التثبت والتوسع فى هذه المسألة فرجعت إلى ما كتبه الشهاب الخفاجى على الدرة ؛ فقد كنت أعلم أنه كثيرا ما يتعقب الحريرى فى تخطئته للأساليب الجارية ، ويكر عليه كر الناقد البصير . ولقد ألفيت الشهاب الخفاجى يخطىء الحريرى فى هذا الحكم ، ويصوب تكرير العدد فيما أسلفت ، ويسوّغ أن يقال : دخل الطلبة المدرسة اثنين اثنين . وإنى أسوق إليك كلامه ، ثم أناقشه فيه : قال الشهاب : « تخطئتهم فى استعمال واحدا واحدا إلى آخر ما ذكره للدلالة على التكرير خطأ ؛ لأنه مقيس كثير فى كلام العرب ؛ كما قال الشاعر :

إذا شربنا أربعا أربعا فقد لبسنا الفرو من داخل

ولو لم يكن أصلا شائعا لما كان أحاد معدولا عنه ، وكان العدل فيه تقديريا ، ولا قائل به . وفى شرح الكافية للحديثى : أسماء العدد المستعملة للتكرير المعنوى بلفظها مطردة . وإنما عدل ليكون نصا فيما قصد به ؛ فإن ثلاثة ثلاثة مثلا يحتمل التأكيد بخلاف صيغ أحاد وموحد » . وترى أنه رد على الحريرى بأمرين : الأول أنه مقيس ؛ وهذا لا ينازع فيه ولا يجحد ، فلا فرق بين قولك : أعط المساكين درهمين درهمين ، وقولك : جاءوا اثنين اثنين فى مجرى القياس . والثانى أنه كثير فى الاستعمال . وهذا إذا صح كان هدما لكلام الحريرى ونقضا أى نقض له . فإن الحريرى بنى حكمه على أن هذا أمر اطرحه العرب وأهملوه وهجروه ، وما اطرحه العرب فهو مطّرح ، وإن سوّغه القياس على النظائر والأمثال . وترى أن الشهاب لم يجىء فى سبيل دعواه كثرة الاستعمال لما أنكره الحريرى بشىء يذكر ، ولا سلطان مبين . فكل ما أورده قول الشاعر : إذا شربنا أربعا أربعا ، والظاهر أن الشاعر يريد : إذا شربنا أربعا من الأكؤس ثم أربعا منها ، وعلى ذلك لا يكون المقام لرباع ؛

فإنه لو قال: إذا شربنا رباع كان المعنى: أننا طوائف، كل طائفة أربعة فى حال الشرب كما لو قيل: خرجنا رباع أى خرجنا طوائف كل طائفة أربعة، ولو أراد هذا لكان المقام لتأنيث العدد فيقول: إذا شربنا أربعة أربعة. وهذا يحصل لو شرب كل واحد من الطوائف كأسا واحدة، ولا يؤدى هذا الى ما رتب عليه وقدر من قوله: فقد لبسنا الفرو من داخل، أى عممنا الدفء أو غمرنا الحر؛ فإن ذلك لا يكون بالكأس الواحدة. فترى أن الشهاب ركب الشطط فى هذا الاستدلال. على أنه لم يحلّ الشاعر صاحب هذا البيت بما يرفع الجهالة عنه حتى نعلم حاله فى الاحتجاج به. فلعله أن يكون من المولدين الذين لا يحتج بكلامهم. ويغلب على الظن هذا، فإن المعنى الذى ذكره، وهو لبس الفرو من داخل للكناية عن الدفء، معنى غريب يأتى من التأمل والنظار، ولا يكون للعربى الساذج. ودعواه أن هذا الأصل لو لم يكن شائعا لم يكن أحد معذورا عنه كلام لا يغنى عنه من الحق شيئا. فكثير من الأشياء عدل عنها واقتصر على الفرع وأهمل الأصل إهمالا كليا. ألا ترى أن الأصل فى قولك: عسى زيد أن يقوم، عسى زيد قائما، ولو قيل هذا الأصل لوقع القائل فى الخطأ الفاحش، وقد حكموا بالشذوذ على قول الشاعر:

أكثرت فى العذل ملحاً دائما لا تكثرن إنى عسيت صائما

وبعد، فما زلت على رأيى الأول فى استهجان الأسلوب المدون فى صدر البحث، ولا أزال كذلك حتى يثنينى عنه وجه صحيح. وفقنا الله لاتباع الحق حيث كان.

شرجه

تستعمل هذه العبارة فى معنى مساوى الشىء ونظيره فى أمر من الأمور. وجاء فى مجلة الاثنين ١٩٤٧/٩/١٦ ما يأتى «وأنا أيضا شرجه» ويبدو لى أن الأصل شرجه. فصحف الجيم الى الحاء. ومثل هذا كثير. والشرج فى اللغة من معانيه: المثل، والنظير. والله أعلم.

ايمان أبى بكر

للفضيلة الاستاذ الشيخ إبراهيم على أبو الخشب

الايمان ضرورى للبشر لا يقل مسيس الحاجة إليه عن مسيسها الى الطعام والشراب ؛ وذلك لأنه إذا كان الطعام والشراب غذاء الأجسام وقوامها ، فإن الايمان غذاء الأرواح تسمو به الى ملكوت علوى من العقيدة ربما كان من الصعب تحويلها عنه ، خصوصا إذا كانت من تلك النفوس الكبيرة التى لا ترى اللذة والسعادة إلا فى محيطه الواسع العميق . . . وهذا هو السر — على ما أرى — فى أن المؤمنين يستهينون بالموت ، ويستعذبون الاستشهاد ، ويستسيغون التضحية ، ويستصغرون الشدائد مهما كان لونها وطعمها ؛ بل يطلبون ذلك ، ويعملون له ، لتنمو تلك الشجرة وتتمكن ، فاذا « أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها » . وكأنما يبتغون هذا المراك رياضة وتهذيبا ، وثقافة وتأديبا .

وفضيلة الدينار يظهر سرها فى حكه لا فى ملاحة رقشه

ومن هنا كان الجهاد — فى الاسلام — بابا من أبواب الجنة . ومن هنا أيضا كان نزوع محمد قبل الرسالة وقلقه وحيرته واضطرابه وخلوته بغار حراء الليالى ذوات العدد ، يتطلع الى هدف يركز فيه إيمانه ، ويقصر عليه قلبه ولسانه ، وسره وإعلانه .

ومسارعة أبى بكر رضى الله عنه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واضعاً يده فى يده مذعنا لما جاء به الى قريش خاصة ، والى الناس عامة ، قد يؤولها المؤولون بالصحبة القديمة ، والمودة السالفة ، التى ربطت بينهما طفلين غريرين ، وشابين فتيين ، ورجلين كبيرين ؛ والحب إذا تحكم بين شخصين ، وتأكدت فى نفوسهما أواصره ، غطى على كل اعتبار ؛ مع أن الأمر ليس كذلك ؛ فان الرجل كان من الظامئين المتعطشين ، لم يلبث حين توجهت إليه الدعوة أن أصابت منه « مواقع الماء من ذى الغلة الصادى » . ولو أنه عبد الأوثان

أو آمن بغير الله ، لكانت له كبوة ، وقال كما قال المعاندون : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » .

وإذا كان الإيمان خوفا مشوبا بشك يساور العابد فى رضاء معبوده ، فانه كذلك صلابة فى الحق ، وثبات على المبدأ — على حد بعض التعابير — . وهكذا كان ابن أبى قحافة ، فما قرأ القرآن وجلست له وعيده « نار الله الموقدة ، التى تطلع على الأفئدة » إلا بكى واخضلت لحيته بالدموع ؛ وما ذكر يوم القيامة إلا ارتعدت فرائصه وقال : « لو كانت إحدى قدمي داخل الجنة والأخرى خارجها ما أمنت مكر الله . » مع أنه من المبشرين بها . وحديث صلابته فى الحق يتمثل فى محاربته لأهل الردة ، أولئك الذين انتهزوا فرصة موته صلى الله عليه وسلم فمنعوا الزكاة . وكأنى به :

فى كل منبت شعرة من جسمه أسد يعد الى الفريسة مخلبا

يقول له عمر بن الخطاب : كيف تقاتل قوما يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر ؟ فيقول له « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » . وقد تصل تلك الصلابة فى الحق الى درجة أن تهيء لصاحبها أنه وحده دولة ، لها من الباس صولة . وكثيرا ما توالت المحن الشداد على صناديد المهاجرين والأنصار « وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله » فاذا به كأنه صاحب المتنبي الذى يقول فيه :

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

يحيره ابن الدغنة حينما أراد الهجرة الى الحبشة ويقول له « مثلك لا يخرج ولا يخرج ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » ثم يطوف به على منتديات قريش ومجتمعاتها يعلمهم بما بينه وبينه ، وينذرهم إن تصدوا له بسوء أن يرده إليهم أضعافا مضاعفة ، ويكون الرجاء حارا فى أن يتخلى « المستجير » بدينه وقرآنه لئلا يفتن به نساؤهم وأبناؤهم . ولكن ذلك لم يحرك من الرجل ساكنا ، أو يهز منه عاطفة ، فيحاول إعلان عبادته ، ويقرأ القرآن أمام بيته ، ويتهافت

عليه الشيوخ والشباب ، تهافت الذباب على الشراب ، ويتهامس المتهامسون ماذا يكون في تلك « المعاهدة » وسرعان ما يتجلى إيمان « الرجل » في قولته لجبير : إن كان يخرجك ما بيننا من جوار فأنى « في جوار الله » العزيز الحكيم ! ولم يقر قراره دون أن يكافح ويكابد ، وينافح ويجالد ، ويؤذن فيمن حوله من لداته وأقرانه « بكلمة الحق » يعلنها مدوية صاخبة . وما هي إلا عشية وضحاها حتى كان في صفوف المسلمين عثمن بن عفان ، وطلحة بن الزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وغيرهم ممن اعتز بهم الاسلام وانتصر .

والحق والايمان إن صبا على ... برد فقبه كتيبة خرساء
نسفوا بناء الشرك فهو خرائب ... واستأصلوا الأصنام فهي هباء
يمشون تغضي الأرض منهم هيبة ... ولهم جيال نعيمها إغضاء
حتى إذا دانت لهم أطرافها ... لم يطغهم ترف ولا نعماء !!

والنفوس التي تترفع عن أوضار المادة هي التي تزهد في المال ، وتعزف عن مباهج الحياة ، وتذعن بالمعجزات وخوارق العادات . وكذلك رأيناه رضي الله عنه ، تبرع بماله للنبي لينفقه في حاجته وحاجة المعوز البائس من صحابته ، فأخلف الله عليه غيره ، فتبرع به من جديد ، فأخلف الله عليه غيره فتبرع به ، وكلما تبرع أخلف الله عليه ، وكلما أخلف الله عليه تبرع . وقد قال له صلى الله عليه وسلم في إحدى هذه المرات : وماذا أبقيت لعيالك يا أبا بكر ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله . « الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » .

ويخيل الى أنه المثل الأعلى للذين يؤمنون بالغيب . تلقاه صبيحة الإسراء نفر من الكفار فقالوا له ماذا ترى في رجل يزعم أنه قطع ما بين المسجد الحرام الى المسجد الأقصى في قطع من الليل ؟ والعرب تعلم أنها مسيرة شهر ، فقال لهم « صدقناه فيما يوحي اليه ، أفلا نصدقه فيما هو دون ذلك » ؟

وتمضي السنون ويختار الله إلى جواره نبيه الكريم ، فيذهل الذاهلون

عند نعيه ، ويقف عمر بالمسجد عارضا سيفه قائلا : من أخبر بهذا الخبر قصمته . وهنالك لا يغيب عن الصديق رباطة جأشه ، وقوة إيمانه ، وشدة شكيمته ، فياخذ طريقه إلى المنبر ليقرأ على الناس : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا » فلا يلبث أن تزول هذه الغاشية ؛ وكأن أحدا من المسلمين لم يستمع إلى هذه الآية من قبل ، أو يدر أنها أنزلت .

ومنذ هذه اللحظة تتلفت الأنظار إليه ليكون « خليفة رسول الله » ، وينتهى إليه هذا الأمر فلا يزدهيه أو ينقص من تواضعه « إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، إن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فقوّمونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم » .

وبعد ، فهذه وجازة عن « عقيدة رجل » أخبر الصادق المصدوق أنه لو وزن إيمانه بإيمان هذه الأمة لرجح ؛ رجوت بعرضها أن تكون تذكرة وعبرة « والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

من حكم لقمان

قال لقمان لابنه : لاتركن إلى الدنيا ، فانك لم تخلق لها ، وما خلق الله خلقا أهون عليه منها ، فانه لم يجعل نعيمها ثوابا للمطيعين ، ولا بلاءها عقوبة للعاصين . يا بنى لا تضحك من غير عجب ، ولا تمش فى غير أرب ، ولا تسأل عما لا يعنيك . يا بنى لا يضيع مالك ، وتصلح مال غيرك ، فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت . يا بنى من يرحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يغنم ، ومن يقل الباطل يأثم ، ومن لا يملك لسانه يندم . يا بنى زاحم العلماء بركبتيك ، وأنصت إليهم بأذنيك ؛ فان القلب يحيا بنور العلماء ، كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء .

خالـد

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز السيد موسى

تحدثت عن حياة أبى عبيدة بن الجراح ، وأثارت ذكراه الكلام عن خالد ابن الوليد ، لأنهما فى المجد توأمان ، وفى السؤدد والعظمة صنوان .

خالد بن الوليد المخزومى كان من سادة بنى مخزوم ، وريحانة العرب ، لما له من حياة سامية وهمة عالية . فلو رجعت الى حياته الحافلة بجلائل الأعمال لرأيتها شعلة وقادة من المهد الى اللحد . ظهر خالد فى أيام الرمح والسيف والبادية والجمل ، ونبت فى أصل أصيل ، ومجد أثيل ، وكان له خبرة فنية فى قيادة الجيوش فاقت كل خبرة ، فهو قائد الفرسان ، وصاحب القبة فى الجاهلية ؛ كانوا يضربون له القبة فى أثناء حروبهم ، وينصبون خيامهم حولها ، ويرجعون اليه فى شئونهم ؛ وكان لخالد فى غزوة أحد الأثر البعيد فى نصر دولة الشرك ؛ فانه حين شغل المسلمين بما وضعوا أيديهم عليه من الغنائم ، حيث كان النصر لهم ، وجاءهم من خلفهم وفرق جمعهم ، وإن كان لم يجن من وراء انتصاره هذا شيئا .

وفى السنة السابعة للهجرة أسلم خالد ، وفرح الرسول صلى الله عليه وسلم باسلامه ، وقال له : الحمد لله الذى هداك ! قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك إلا الى خير . فقال : يا رسول الله ادع الله لى أن يغفر تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك . فقال له عليه الصلاة والسلام : الاسلام يقطع ما قبله . وكان له فى إسلامه الأثر المحمود ، وفى جهاده الخطر البالغ ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ يوجه الجيوش الى خارج الجزيرة بعد ما قويت سواعد المسلمين . ولما وجه النبى صلى الله عليه وسلم جيشا نحو الشام ، جعل لهذا الجيش قوادا ثلاثة يتعاقبون عليه واحدا بعد الآخر إذا أصاب القائد الموت ،

وهم : مولاه زيد ، وابن عمه جعفر ، وشاعره ابن رواحة . وكان المسلمون فى ثلثمائة ، وكان العدو فى ألوف مؤلفة ؛ فأصاب الثلاثة الموت ، فحمل الراية من بعدهم خالد بن الوليد ، وبقيادته نجا جيش المسلمين من جيش العدو ، بما له من كياسة حربية وسياسة عسكرية . واطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين الغيب على ماجرى ، وخطب أصحابه بالمدينة ، ونعى اليهم القواد الثلاثة ، ثم قال : وأخذ الراية سيف من سيوف الله . ومن هذا اليوم سمى خالد سيف الله المسلول .

وفى عهد أبى بكر وجهه الخليفة الأول الى أهل الردة ، فكان له ما كان من مواقف مشهودة ، ومن قتله مسيلمة الكذاب . وقد نقم عليه بعض الشىء فى هذه الحروب عمر بن الخطاب ، وأخذ يتحدث فى شأنه ، فقال له أبو بكر : ارفع لسانك عن خالد فانى لا أشيم (أى لا أغمد) سيفا سله الله ، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم الرجل خالد بن الوليد !

وكان بجوار جزيرة العرب دولتان عظيمتان لهما ما لهما من عز وسؤدد ، وما كان يدور بخلد العرب أن يتوجهوا إلى حربهما فى وقت ما ؛ ولكن خالدا قائد الفرسان كان هو السهم النافذ إلى نحورهما ؛ وهما الفرس والرومان ؛ دولتان عظيمتان ، فقص أطرافهما خالد ، وأخذت كل دولة تنكمش الى مركز دائرتها ، وتتقلص إلى عاصمة بلادها ، وهو يسوقهما أمامه بسيفه ، حتى حطم الأسوار ، وجعل الاسلام يرفرف تيها وإعجابا فوق تلك الديار .

استدعاه أبو بكر من العراق لحرب الشام ، وأسند إليه القيادة العامة بعد عزل أبى عبيدة منها ، لأنه كان يرى فيه الحنكة السياسية والدربة العسكرية ، وأن الجنود كانوا معجبين به أبدا إعجاب ، لذلك كانوا طوع عبارته ورهن إشارته ؛ فحالفه النصر فى كل معركة .

وفى خلافة عمر بن الخطاب عزله عمر من هذه القيادة ، وقال له : ما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن بك الناس فخفت أن تفتتن بالناس ! فتقبل العزل بنفس هادئة ، وألقى مقاليد القيادة الى أبى عبيدة وقلبه راض .

كان خالد يود من صميم فؤاده ومن أعماق قلبه أن تدركه منيته وهو غاز .

فقال وهو محتضر : لقد شهدت مائة زحف أوزهاءها وما بقى فى بدنى شبر إلا وفيه ضربة سيف ، أو طعنة رمح ، ثم أموت على فراشى هكذا كما يموت البعير ، لا نامت أعين الجبناء !

ذلك قول خالد وهو على فراش الموت . وإن صفحات المجد التى سجلها التاريخ لخالد بن الوليد باقية أبد الآبدين ، وخالدة دهر الداهرين .

وقد حقق المؤرخون أنه مدفون بمسجده القائم بحمص ، وهو مسجد يشهد على عظمة المدفون فيه . وقيل إن صورته كانت تعطى صورة واضحة لعمر بن الخطاب فكأنه هو ، حتى كان الكثير من الناس يشتبه فيهما ، فإذا رأى الانسان أحدهما ظنه الآخر . بنى له ذلك المسجد العظيم السلطان عبد الحميد أحد خلفاء الدولة العثمانية . وكيف تتصور أنه نال كل ذلك الفخار وسجل له التاريخ تلك العظيمة ، فى حياة قصيرة ، فانه لحق بربه وهو فى الثالثة والأربعين من عمره .

تلك صورة موجزة تقرب إلى ذهنك خالد بن الوليد وجهاده وبطولته .

وهكذا تكون رجالات الاسلام الذين تربوا فى أحضان النبوة على ضوء القرآن فى عهده الأول ، فكم فيهم من أمثال خالد .

تلك اللمحات السريعة جالت بخاطرى عندما وقفت أمام قبر خالد الذى ثوى فيه عند زيارتى لحمص فى سنة ١٩٤٦ . فعليك رحمة الله يا خالد !

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع وما يصنع الأقوام فالله صانع

من حكم أبى حازم

طلب عبد الملك بن مروان أبا حازم ، فلما دخل عليه قال : تكلم يا أبا حازم . قال : فيم أتكلم يا أمير المؤمنين ؟ قال : فى المخرج من هذا الأمر . قال : يسير إن أنت فعلته . قال : وما ذاك ؟ قال : لا تأخذ الأشياء من غير حلها ، ولا تضعها إلا فى أهلها . قال : ومن يقوى على ذلك ؟ قال : من قلده الله من أمر الرعية ما قلدك . قال : عظنى يا أبا حازم . قال : اعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا بموت من كان قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك . قال : يا أبا حازم أشر على . قال : إنما أنت سوق فما نفق عندك حمل إليك من خير أو شر فاختر أيهما .

من أقباس النبـوة :

يا هلال المحرم ... !

لفضيلة الأستاذ كامل محمد عجلان
مدرس بمعهد القاهرة

« رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً » قرآن كريم

يا هلال المحرم ! أرنى أنظر الى جبينك ، حتى أستوحى من بسماته لمحات الظفر التى طبعت على مراياك ، طالما تقلب بك الفلك ، وأطلعك على رمال الصحراء ، وعنت لغرتك لفتات الناظرين .

* * *

يا هلال المحرم ! أعندك فوق ما يغمرنى من الذكريات الحسان ؟ . . .

* * *

إنها إعجاز البشرية ، يوم صدع الرسول بالدعوة الخالدة ، مادامت السموات والأرض ، وتكالبت عليه ضغائن الوثنية تصده عن الجهر بالحق ، وإرسال نوره ينصب فى قلوب العرب .

* * *

وفى زحمة الجهد ، رحبت (الحبشة) (النصرانية) بالمهاجرين الذى آواهم دين السلام ، فكرّه اليهم الكفر ، وبغض الاثم ، ورد عنهم غاشية الوثنية الجامدة البغيضة .

* * *

يا هلال المحرم ! ما أنت فى معالم الزمن ؟ وما وراء يومك من عبر ترهب القلب خشيتها ، فيهتز من روعة المواقف المسلمة ، والصبر المؤمن ، والدعوة

المكافحة ، التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، تعزيز من قوى متين .

* * *

يا هلال المحرم ! أرأيت يوم (الطائف) وقد راح الرسول عامر القلب واسع الصدر ، يعرض دين الله على غلواء المشركين ، فتأخذهم العزة بالامتناع ، ولكنه ، وهو النبى الذى وعد بنصر الله ، يعود مناجيا ربه ، يشكو اليه قلة حيلته فى الصم الذين غلفوا قلوبهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا !

* * *

يا هلال المحرم ! ما الذى ارتسم على جبينك يوم كانت قريش تطارد الذين آمنوا وأسلموا لله ، وأمام ركبهم رسول الله ، وهو يعدهم بالنصر ، ويرسم لهم بصبره معارج الخلود ، ويضع فى أيديهم مفاتح الجنة ، حتى لتهب على وجوههم المرهقة رياحين ظلالها ، فتمسح عنهم لغوب الأذى ، فى حر الهجير ووقدة الرمضاء ؟

يا هلال المحرم ! نبئنى عن طواف الرسول بين القبائل وهتافه بهم ، كلما نزلوا بسوق ، أو اجتمعوا فى واد ، أو طافوا بالبيت العتيق ... وهو الصبور الذى لا ينطق عن الهوى ، يؤيده الوحى ، ويرشده فالق الإصباح ، وهادى العمى عن ضلالهم ، تعالى الله عما يصف المشركون !

يا هلال المحرم ! أى غلالة كنت ترتديها فى كبد السماء ، ليلة أن غرهم بالرسول الغرور ، ونام المشركون على بابه يترصدون ... ؟

وناموا وعين الله يقظى ، لا تأخذها سنة ولا نوم .

* * *

يا هلال المحرم ! إنها نجوات تُدوّى فى همساتنا ، كلما طافت بنا نفحات النبى ، وهزتنا أناشيد إعزاز الله لدينه ، ونصره لنبيه ، الذى وقف فى مهاب الأعاصير يحمل الأذى ، ومن ورائه صحابة دفعوا أنفسهم وأموالهم وأهليهم فى سبيل الله ، وأرخصوا راحتهم حتى ارتفعت راية الاسلام ، وعلت فى آفاق

القبائل ، وأودية العشائر (الله أكبر) ! . هنالك ترددت أصداؤها فى القرى والمدائن ، إننا نتلقفها حتى اليوم ، وإلى قيام الساعة .

* * *

يا هلال المحرم ! هـل أرسلت شعاعك فطوق باب (الغار) الذى آوى النبي وصديقه ، وخدع أقدام الطالبين ، يريدون إطفاء نور الله ويأبى إلا أن يظهر آياته ، ويشيع بيناته ، هدى ورحمة للعالمين . «ذلك تقدير العزيز العليم». وما خاب من كان الله معه . يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

يا هلال المحرم ! هـلا أشفقت على المهاجرين فوليت الأدبار ، وحجبت نورك ونور أمك (الشمس) ، حتى يجعل الله الليل سرمدا على المشركين ، وكفى نور المؤمنين الذى يسعى بين أيديهم سراجا منيرا وبدرا وهاجا .

يا هلال المحرم ! أشهد لقد كنت ساخرا ممن يلجـون وراء الرسول ، ولو استطعت لقلت . ولـكن سبقت كلمة ربك لينصرن الله من ينصره ، وتمت إرادته ؛ ولا تنفع الطالبين لهفتهم على رد الرسول وصاحبه الى مكة ؛ إلا إذا جاء الفتح وحق نصر الله ، ونادى فيمن أخرجوه من داره : إذهبوا فأنتم الطلقاء ! لا تثريب ... يا هلال المحرم ! يغفر الله ، ومن عفا وأصلح فأجره عند غافر الذنب وقابل التوب .

* * *

يا هلال المحرم ! ما فاتك أن تشهد طلعة البدر على أهـل المدينة ، وهم يهتفون ويغنون ويطربون :

طلع البدر علينا . . .

طلع البدر علينا . . . !

يا هلال المحرم ! ليتنى وليت مزاحمى كانت هناك ! ولـكنى هنا فى زحمة الذكرى أخب وأضع ، وكأنى أنظر فى الجموع وهي تحيي الرسول المهاجر بدينه يدعو الناس للدخول فى ساحة التوحيد أفواجاً .

وتمت على يديه كلمة الله العليا ، وتبتت الآمال السفلى ؛ والعاقبة للتقوى . . .

يا هلال المحرم ! أين كنت فى الأحداث الخالدة ، والتطريبات الباقية ، والأناشيد الهزاجة . . . ؟

أين كنت ، وأين أفقك الجميل منها ؟

* * *

يا هلال المحرم ! أين أنت من (هلالنا) الذى أضاء بنوره الدنيا والآخرة ، وأشرقت بتعاليمه نفوس المؤمنين . . . !

إنه عنك مشغول ، والشفاعة عند الرسول مأمولة ، يوم لا ينفع المرء إلا ما قدمت يداه . . .

* * *

يا رسول الله ! أنت لنا . . . فاليك سلام الله كلما درجت على جبين المعالم الخالدة ذكرياتك العظيمة . . .

اسأل الله وحده

قال الحسنى : قال أبو غسان : أخبرنى أبو زيد قال: سأل سائل بمسجد الكوفة وقت الظهر فلم يعط شيئا ، فقال : اللهم إنك بحاجتى عالم لا تُعلّم ، أنت الذى لا يعوزك نائل ، ولا يخفيك سائل ، ولا يبلغ مدحك قائل . أسألك صبرا جميلا ، وفرجا قريبا ، وبصرا بالهدى ، وقوة فيما تحب وترضى . فتبادر سامعوه اليه يعطونه . فقال لهم : والله لا رزأتكم الليلة شيئا ! ثم خرج وهو يقول :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضا ولو نال الغنى بسؤال
وإذا النوال مع السؤال وزنته رجح السؤال وشال كل نوال

وقال عبيد بن الأبرص :

من سأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب

مدرسة النقد الادبى[1]

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد السلام أبو النجا سرحان
المدرس بالأزهر

١ — النقـد الأدبى ونشأته :

يحدثنا التاريخ أن النقد صحب الإنسان منذ نشأته ، وتناول كل ما صدر عنه من أيام طفولته ، بل تناول الطبيعة ومظاهرها ، والحياة وألوانها ، وحاول أن يخضعها للأذواق المتباينة ، ويوائم بينها وبين الطباع المختلفة فى كل زمان ومكان .

ولقـد كان ذا أثر واضح فى وضع القواعد الاجتماعية والخلقية وتقدم العلوم والفنون ، وبفضله ارتقت الإنسانية وارتفعت أعلام الحضارة ، وأثمرت شجرة المعرفة ؛ فهو شريعة الحياة فى شتى مظاهرها ، وطريق الصعود بالأمم والأفراد الى درجات الكمال .

ويُعَدّ النقد من الأسس الهامة والدعائم القوية التى قامت عليها الحضارة الحديثة ، خصوصا من الناحية السياسية ونظم حكومات الشورى ؛ وكان من أقوى العوامل التى ارتقت بآداب الأمم وفنونها وصناعاتها ، وسارت بالعلم والمعرفة أشواطا بعيدة فى سبيل الحياة .

ومن المتفق عليه فى العصور الحديثة أن النقـد ليس مما يعيب الأدباء والمفكرين والمؤلفين ، بل إنه ليعد من أسباب الرواج للكتب العلمية

---

(١) فى سنتى ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ هـ نشرت بحثا فى مجلة الأزهر الغراء تحت عنوان « قدامة بن جعفر ومدرسة النقد الأدبى » قدمت له بكلمة موجزة عن مدرسة النقد الأدبى فى مختلف العصور حتى عصر قدامة ، ثم ترجمت لقدامة ترجمة مفصلة ودرست كتابه دراسة تحليلية ووعدت فى نهاية البحث بالعودة إلى الكتابة تفصيلا عن مدرسة النقد الأدبى ، وهأنذا أفى بوعدى ، والله المستعان .

والأدبية عند الغربيين ، حتى إنه توجد طبقة خاصة صناعتها النقد ، لها مكانتها عند الجماهير ، وحكمها كحكم القضاء بين المتخاصمين ؛ وقبل أن يخرج المؤلف كتابه يقدمه الى بعض النقاد ، فما تحمل حرارة المراجل وثبت أمام الطعن والتجريح حرج الى الوجود متين البنيان موطد الدعائم قوى الأساس ، وإلا أضحى هشيما تذروه الرياح .

ويعنينا فى هـذا البحث ، أن نتكلم عن مدرسة النقد الأدبى العربية ، ومدى ما وصلت اليه فى العصور المختلفة ، موجزين ما استطعنا الى ذلك سبيلا .

ويجب أن يلاحظ أن ذوق المؤلف أو الشاعر لا يتفق وذوق كل إنسان ، للاختلاف العام فى المشارب والاتجاهات ، وتفاوت العقول فى وسائل الوعى والفهم والإدراك ، التى هى مرجع الحكم فى أصول الفنون وأنواع الجمال .

كما يجب أن يراعى الفرق الكبير بين إلهام الأديب حين ينشىء وتكون نفسه جمرة ذهنية متقدة فيبدو إنتاجه خلاصة لذوب فكره وعصارة للهيب عاطفته ، وبين نظر الناقد الهادىء المتئد الذى يضع الكلام مواضعه ، ويقيسه بمقاييس صحيحة وعاطفة طبعية .

والمقدرة على خلق الأثر الأدبى أقل — قطعا — من المقدرة على تحليله ونقده . روى المبرد (ص ٢٣٣ ج ٢ عمدة) « أن أبا نواس ومسلم بن الوليد اجتمعا متلاحيين ، فقال مسلم : ما أعلم بيتا لك يخلو من سقط ! فقال أبو نواس : اذكر شيئا من ذلك ، فقال مسلم : بل أنشد أنت أى بيت شئت ؛ فأنشد أبو نواس:

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

فقال مسلم : قف عند هذا ، لم أمله ديك الصباح وهو يبشره بالصبوح وهو الذى يرتاح اليه ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى أنت . فأنشده :

عاصى الشباب فراح غير مفند وأقام بين عزيمة وتجلد

فقال أبو نواس : ناقضت ؛ ذكرت أنه راح والرواح لا يكون إلا بالانتقال من مكان الى مكان ، ثم قلت : وأقام ، فجعلته منتقلا مقيما فى حال ، وهـذا متناقض » .

قال أبو العباس المبرد : « وكلا البيتين صحيح ، ولكن من طلب عيبا وجده ، ومن طلب له مخرجا لم يفته »

فالناقد قد تنكشف أمامه الحجب الخافية على المنشئ ، وتظهر له العيوب التى لا يفطن اليها الأديب ؛ وقد فطن المتنبى لهذا فقال :

أفام ملء جفونى عن شواردها
ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

فمن القسوة أن نأخذ المنشئ أو الشاعر بالشدة ، بل يجب أن نتلمس له العذر ما استطعنا ، ما دام لم يخرج عن القواعد العامة ، والبديهيات المعروفة ، والخصائص الثابتة .

٢ — ما النقد الأدبى ؟

أما النقد الأدبى فهو تقدير النصوص الأدبية ، ووزنها بمعيار الذوق الأدبى وبيان درجتها الفنية ، وتمييز الأدب الراقى من التافه الذى لا قيمة له ؛ وذلك يستدعى فهم الأدب أولا ، وتفهم مختلف الطبائع التى تنتجه ، ومعرفة أقدار تلك الطبائع على ضوء الاتجاه الذى يريده الفن الأدبى الكامل .

ومن الخطل أن ننظر الى أبيات القصيدة أو عبارات القطعة الأدبية جزءاً جزءاً ، فان كلا منهما كطاقة من الأزهار المنسقة ، أو حبات العقود المنتظمة ، فاذا نثرت أزهارها أو انفرطت حباتها ، ذوى جمالها ، وتضاءل سحرها ، وذهب بهاؤها ، وضاع رونقها .

والدر ليس بنافع أربابه ما لم يؤلف فى النظام وينقب

والبيت الواحد من القصيدة أو العبارة المفردة من القطعة النثرية كالزهرة العذراء تنظر إليها العين لتستشعر جمالها ، وتنتهب لونها ، وتستشف عذوبتها ، فى صمتها المعبر ، وحيائها العفيف ؛ ثم ينقل الحس هذه الصورة الجميلة الى القوة المفكرة ؛ فتنخرط فى سلك التأمل والإمعان ، وتستلذ منها النفس وتطرب لها الروح ؛ فاذا عبث عابث بتلك الزهرة ومزقها أجزاء ، ذلت كبرياؤها ، وأصبح البحث فيها نظرا علميا محضا ، لا خيالا سحريا جميلا .

فمن الإنصاف إذن أن ننظر الى القصيدة باعتبارها وحدة مرتبطة ، ووحدة فنية متماسكة ، وتمثالا للجمال الشعرى مركبا من قطع صغيرة ، وإلا زال كثير من روعتها وجمالها ؛ وذلك كما ترى صورة فنية لمشهد من مشاهد الطبيعة ؛ فان اتساق الألوان واجتماعها فى أوضاع متناسبة وأبعاد متناسقة ومقادير فنية يعطيها جاذبية سحرية تنتزع منك الإعجاب وتثير فيك المشاعر ؛ فاذا تفرقت هذه الألوان زال الجمال ، وضاع السحر ، ومات الشعور .

وسنرى أن نقاد العربية يسيرون على غير هذا المبدأ ، وينتقدون الأبيات الفردية والألفاظ المنبثة فى التراكيب المختلفة ؛ ويرجع هذا مبدئيا الى أن اللغة العربية واسعة النطاق فسيحة الأرجاء ، لا تجد حرجا من النقد ما كان نزيها ، ولا تتزمت من تقويم مادام رائده الخير ؛ ويرجع ثانيا الى كثرة كلماتها المترادفة واتساع مادتها بحيث يستطاع الاستعاضة عن كلمة بكلمات ، وعن لفظ بألفاظ ؛ وبهذا وسعت كتاب الله ببياناته الفريدة ، وتراكيبه المعجزة ، ونظمه البديع ، وفتحت قلبها لعلوم الأمم المختلفة وآدابها وفلسفتها وحكمتها ، وهضمت الفنون المختلفة من قديم الزمن ، فازدادت بها جمالا ، وأفادت منها صقالا ؟

الاذن عند العرب

قال زياد لحاجبه عجلان : كيف تأذن للناس ؟ قال : على البيوتات ، ثم على الأسنان ، ثم على الآداب .

فقال له الأمير : فمن تؤخر ؟ قال الحاجب : من لا يعبأ الله بهم .

قال الأمير : ومن هم ؟ قال الحاجب : الذين يلبسون كسوة الشتاء فى الصيف وكسوة الصيف فى الشتاء .

وكان سعيد بن عتبة إذا حضر باب أحد من السلاطين جلس جانبا ، فقيل له : إنك لتباعد من الآذن جهدك . قال : لأن أدعى من بعيد ، خير من أن أقصى من قريب . ثم قال :

فان مسيرى فى البلاد ومنزلى ... هو المنزل الأقصى إذا لم أقرب
ولست وإن أدنيت يوما ببائع ... خلاق ولا دينى ابتغاء التحبب
وقد عده قوم تجارة رابح ... وبمنعنى من ذاك دينى ومنصبى

الخطابة فى الأندلس

المنذر بن سعيد البلوطى

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر

على أن البلوطى ــ رحمه الله ــ كان يتخفف أحيانا من أوزار منصبه ، ويخلع عنه رداء تزمته وتوقره ، فيقول أبياتا فيها شىء من القوة والخفة ؛ مثل قوله حينما عذله إخوانه لتكنيته لرجل كان قد سبّه :

لا تعجبوا من أننى كنيته ... بما قد سبّنى رجانا
فالله قد كنى أبا لهب ، وما ... كناه إلا خزية وهوانا !

يشير البلوطى بهذا الى قول الحق تبارك وتعالى : « تبت يدا أبى لهب وتب . . . » وهى لفتة بارعة من البلوطى ، وحسن تعليل مقبول وجميل ، بل خلوص لطيف من مأزق تعرض له ، وكان يعاب به .

كذلك نرى البلوطى الواعظ الزاهد ، يبيح لنفسه فى ساعات دعابته وفترات مراحه ، أن يتحدث عن الجمال ، وعن مفاتن النساء ، فيذكر قوامهن وأصداغهن ، وما اتصل بذلك من حديث الهوى والفتون ، جاعلا ذلك لونا من الترفيه اللفظى المقبول ، الذى يزين الأسلوب ، ولا يخدش الكرامة . فانظر اليه مثلا إذ يكتب الى فقيه العربية وقيد أوابدها أبى على القالى ، يستعير منه كتابا فى غريب اللغة ، فلا يجد ما يقسم به فى مجال الظرف والدعابة إلا الظبى الرقيق صاحب الخد الأسيل ، فيقول :

بحق رئم مهفهف ... وصدغه المتعطف
ابعث إلى بجزء ... من الغريب المصنف!

فيجاريه أبو على فى أسلوبه بعض المجاراة ، وينقل التعبير من مجال الى مجال ، فيرسل اليه ما طلب ، ويجيبه بقوله :

وحق در مؤلف بهيك أىَّ تألف
لايمثن بما قد حوى الغريب المصنف
ولو بعثت بنفسى إليك ما كنت أسرف !

ونحن حينما نقرأ ما ذكره المؤرخون عن خفة روح البلوطى وصفاء ظلته ولطيف دعابته وبديع مزاحه وهزله ، ونذكر بجوار ذلك ما كان له من فصاحة وبلاغة ، نرجح أن هذا اللسان المقوال وذلك الطبع الأصيل الفياض لابد من أن يكونا قد أنتجا أشعارا عاطفية لها جمالها وعذوبتها ، وإن كنا لم نقف عليها ؛ ومن يدرى ! .. لعل متشددا من متزمتى النقلة تعمد أن يحذف هذه الأشعار ظنا منه أن روايتها مما ينال من سمعة البلوطى وجلال مرتبته ! .

وكيف نقول إن أمثال هذه الأبيات المتكلفة هي كل تراث البلوطى بين الشعراء ، ونحن نرى من أخباره أنه كان ، الى ما سبق من صفاته الشعرية ، نقادة سريع البديهة يقظا الاحساس ، عليما بأشعار النابغين من المتقدمين ، خبيرا بأسرار تلك الأشعار ، دقيق التمييز بين الغث والسمين ، والطيب والخبيث ، كما ترشد الى ذلك القصة التالية :

حضر البلوطى بمصر مجلس أبى جعفر النحاس وهو يملى أخبار الشعراء ، فأملى شعرا لقيس مجنون بنى عامر ، وهو قوله :

خليلى ! هل بالشام عين حزينة ... تبكى على نجد ، لعلى أعينها ؟
قد آنسها البا كون ، إلا حمامة ... مطوقة ، باتت وبات قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة ... يكاد يدنيها من الأرض لينها !

فقال له منذر بن سعيد البلوطى : يا أبا جعفر ، ماذا ـ أعزك الله تعالى ـ باتا يصنعان ؟ فقال له النحاس : وكيف تقول أنت يا أندلسى ؟ فقال : باتت وبان قرينها . فسكت أبو جعفر ولم يحر جوابا . قال منذر : وما زال ـ يعنى جعفرا ـ يستثقلنى بعد ذلك حتى منعنى كتاب (العين) وكنت ذهبت للاستنساخ من نسخته ؛ فلما يئست منه قيل لى : أين أنت من أبى العباس ابن ولاّد ؟ فقصدته فلقيت رجلا كامل العلم حسن المروءة ، فسألته الكتاب

فأخرجه الى ؛ ثم ندم أبو جعفر حين بلغه إباحة أبى العباس الكتاب لى . وعاد إلى ما كنت أعرفه منه ! .

فهذه القصة وأشباهها فى حياة البلوطى تدلنا على أنه كان ينطوى فوق ملكته الوعظية على فيض من معين الشعر ! .

* * *

ومع أن البلوطى كان قاضى القضاة بقرطبة ، والامامَ الخطيب بالمسجد الجامع ، فقد كان كثير الدعابة طويل المزاح . يقول عنه الفتح بن خاقان : « وإذا هزل نزل (١) » . ويقول ياقوت : « وكان منذر على متانته وصلابته حسن الخلق كثير الدعابة ، فربما ساء ظن من لا يعرفه به لدعابته ، فاذا رأى ما يخل بالدين قيد شعرة ثار ثورة الأسد الضارى، وتبدلت بشاشته عبوسا (٢) . وقد ذكر له صاحب كتاب (مطمح الأنفس) طائفة من دعاباته الصريحة المكشوفة التى يذكر فيها أسماء العورات والحرمات (٣) . فلنكتف بإيراد طرفة من طرفه الزينة :

جلس منذر فى ليلة من ليالى شهر رمضان للإفطار مع أولاده ، فاذا بسائل يسأل فيقول : ياأهل هذه الدار الصالحين ، أطعمونا من عشائكم أطعمكم الله من ثمار الجنة هذه الليلة ! . فقال البلوطى وهو يضحك : إن استجيب لهذا السائل فيكم ، فليس يصبح منا واحد ... !

* * *

أفيكون معنى هذا أننا سنتغنى بإمداع البلوطى ولا نقف منه موقف الناقد ؟ كلا فان الإنصاف يقتضينا أن نقول ماله وما عليه . ولعل الموقف المشين الذى رأيته للبلوطى ، هو فخره ومباهاته بموقفه بين يدى الناصر يوم زاره رسول قسطنطين ، وتعريضه بأبى على القالى وهو ضيف الخليفة ونزيل الأندلس ، وبحر اللغة ، وراوية الآداب . . . انظر الى البلوطى إذ يفتخر بذلك الموقف ، ويعرض بالامام القالى فيقول :

---

[١] مطمح الانفس ص٩ ٤١ . [٢] المعجم ج ١٩ ص ١٨٣ [٣] ص ٥٠ و ٥١

مقالى كحد السيف وسط المحافل ... فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكى ، ترتمى جمراته ... كبارق رعد عند رعش الأنامل
فما دَحضت رجلى، ولازل مقولى ... ولا طاش عقلى يوم تلك الزلازل
وقد حدقت حولى عيون إخالها ... كنبل سهام أثبتت فى المقاتل
لخير إمام كان ، أو هو كائن ... لمقتبل ، أو فى المصور الأوائل
وفود ملوك الروم وسط فنائه ... مخافة بأس ، أو رجاء لنائل.. الخ

وينال من مكانة أبى على القالى ، ويمرض بتقديمهم إياه عليه فى الخطابة فيقول :

هذا المقام الذى ما عابه فند ... لكن قائله أزرى به البلد
لو كنت فيهم غريبا كنت مطرحا ... لكننى منهم، فاغنانى النكد (١)

الحق أنه ليس من شيمة الكريم القوى أن يهزأ بالضعيف أو بمن خانه الحظ ، ولا أن يفخر هذا الفخر الزائد حينما يمنحه الله توفيقا لا يمنحه لسواه . زد على ذلك أن أبا على القالى لم يرتكب جرما ، ولم يظهر ضعفا يستوجب تحقيره والتعريض به ، فما هو إلا رجل خانه التوفيق وعانده الحظ وأرهبه الموقف ، فلم يستطع أن يقول ما يجب عليه ، ولم يرض أن ينزل الى كلام من هو دونه فأرتج عليه (٢) . ومن قبل القالى أرتج على كثير من الرجال والأبطال الذين لهم أقدار ممزوقة فى بلاغة القول وحسن الأدب ؛ منهم عثمان بن عفان ، ويزيد بن أبى سفيان ، ويزيد بن المهلب ، وعبد الله بن عامر ، وخالد بن عبد الله القسرى ، وزفر بن الحارث ، ومعن بن زائدة ، وعدى بن أرطاة ، وروح بن حاتم ، وغيرهم . . .

ولقد كان عبد ربه اليشكرى عاملا لعيسى بن موسى على (المدائن) ، فصعد المنبر يوم الجمعة ليخطب القوم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أرتج عليه

---

(١) ويروى هذا الشطر هكذا : ولا دمانى لم يفى ولا حسد .
(٢) ورتج كفرح : استغلق عليه الكلام كأرتج عليه وارتتج واسترتج ـ القاموس .

فسكت ثم قال : « والله إنى لأكون فى بيتى فتجىء على لسانى ألف كلمة ، فاذا قمت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمحاها من صدرى ! ولقد كنت وما فى الأيام يوم أحب الى من يوم الجمعة ، فصرت وما فى الأيام يوم أبغض إلى من يوم الجمعة ، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه ! (١) »

وصعد خالد بن عبد الله القسرى المنبر فأرتج عليه ، فسكت مليا لا يتكلم ، ثم تهيأ له الكلام ، فقال : « أما بعد ، فان هذا الكلام يجىء أحيانا ويعزب أحيانا ، فيسيح عند مجيئه سيبه ، ويعز عند عزوبه طلبه ، ولربما كوبر فأبى ، وعولج فنأى ، فالتأنى لمجيئه خير من التعاطى لأبيّه ، وتركه عند تنكره أفضل من طلبه عند تعذره ، وقد يرتج على البليغ لسانه ، ويختلج من الجرىء جنانه ، وسأعود فأقول ، إن شاء الله (٢) » .

فلم يكن مقبولا إذن من البلوطى أن يهتك حرمة ذلك العالم الكبير ، خصوصا وأنه ضيف ، وله من الأيادى السابقات ، والكلمات النابغات ، ما يغفر له مثل هذا الحصر ! .

ولعله يكون من المناسب هنا أن نذكر البلوطى — رحمه الله — بفصل له من خطبة ذكر فيها نفسه بواجبها نحو إصلاح ذاتها وتقويم معوجها ، وهو الذى طالما وعظ وخطب ، ونهى وأمر ، فقال : « حتى متى ، والى متى أعظ ولا أتعظ ، وأزجر ولا أنزجر ! أدل الطريق الى المستدلين ، وأبقى مقيما مع الحائرين ! كلا ، إن هذا لهو البلاء المبين ، إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء ؛ أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الغافرين . اللهم فرغنى لما خلقتنى له ، ولا تشغلنى بما تكفلت لى به ، ولا تحرمنى وأنا أسألك ، ولا تعذبنى وأنا أستغفرك ، يا أرحم الراحمين » ! .

اللهم آمين ، لنا وله وللناس أجمعين ! . . .

---

[١] جمهرة خطب العرب ج ٣ ص ٣٧ [٢] العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٩ ط الازهرية

العدالة فى الاسلام

من عدالة أمير المؤمنين عثمان بن عفان

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد على منصور
من علماء الأزهر

قام العدل على قدم وساق فى عهد أبى بكر وعمر ، وانتشر ميزان القسط بين الناس بالحق ، وأرخى الانصاف سدوله بين العرب ، واتسعت رقعة الاسلام ، وأمست الأمة العربية من القوة بحيث يحسب لها ألف حساب وحساب ، ونمت فيها أفنان العزة ، واستحكمت فيها أصول القدرة ، وانتبهت إلى ما يعلى شأنها ويرفع قدرها ، واتجهت لكل شىء يحفظ وجودها ويمكن لها فى الارض ، وبلغت مرادها بهذا الدين الإسلامى الصالح لكل زمان ومكان ، والذى أعدته الحكمة الإلهية ليكون خاتمة الأديان لنوع الإنسانية ، ينتهى بها إلى أسمى غايات الحضارة والمدنية ، ويأخذ بيدها إلى أقصى مراق الآداب .

ذلك الدين العظيم الذى كفل لمعتنقيه السعادة والحرية والعدالة والإنصاف والمساواة فى الحقوق والواجبات ؛ فسادوا العالم أجمع ، وساسوا دوله ، وحكموا شعوبه ، وتواصوا بالحق ، وتوصوا بالصبر .

ولقد شاء الله ، ولا راد لمشيئته ، أن يصاب المسلمون فى خليفتهم عمر بن الخطاب ، فنزعت نفس الشقى أبو لؤلؤة المجوسى نزعة كانت من أشأم النزعات على العالم الانسانى ، اهتزت لها أعواد المنابر ، ونفذ رنينها إلى أعماق القلوب ، فطعن بخنجره أمير المؤمنين فى المسجد بعد أن كبر للصلاة ؛ فسارع كبار الصحابة إلى خليفتهم وهو يجود بنفسه ؛ ولما علموا أنه فى آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، طلبوا منه أن يعين الخليفة بعده ؛ فأبى وقال : لا أتحملها حيا وميتا ؛ فإن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى - يعنى

أبا بكر - وإن تركتكم فقد تركـكم من هو خير منى - يعنى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم . ثم عـين ستة من أفاضل الصحابة ، وأوصـاهم أن يختاروا من بينهم واحـداً ، فى مدى ثلاثة أيام بعد دفنه . فنفذوا أمره ، وانتخبوا عثمان بن عفان ، وبايعوه بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليال .

شبّ عثمان رضى الله عنه على الأخلاق الفاضلة ، والصفات الحميدة ، والسيرة الـكريمة ، والحياء الذى أخذ منه بأوفر حظ وأعظم نصيب .

وكان رضوان الله تعالى عليه كريما ، رءوفا بالناس ، محبا لقراءة القرآن ، محبوبا من قومه ، متواضعا يجلس مع أفراد الرعية كأنه واحد منهم ، وينام فى المسجد ورداؤه تحت رأسه .

مما أثر عنه أنه اشترى من رجل قطعة أرض بعد أن اتفق معه على ثمنها ؛ ومضت الأيام تلو الأيام ولم يحضر البائع ليتسلم ثمن الأرض ، فأرسل إليه عثمان وسأله عن السبب فى إبطائه عن تسلم الثمن ، فقال الرجل : إنك غبنتنى ، واشتريت الأرض رخيصة منى ، وكلما قابلنى رجل لامنى على هذا البيع . فقال له عثمان : أنت حر فى الرجوع ؛ فإن شئت أمضيت البيع وقبضت الثمن ، وإن شئت رجعت فى البيع وأخذت أرضك ؛ فاختر ما تشاء : الأرض أم الثمن .

فهل بعد هذا عدل وإنصاف ؟ وهل وراء هذا خوف من الله ورأفة بالناس ؟ وهل هناك تسامح فوق هذا التسامح ؟ انظر ما قاله عثمان للبائع مع أن البيع قد انعقد وأصبحت الأرض ملـكا له . وأيم الحق إن هذا هو منتهى العدالة والتسامح ، والرأفة بالناس ، والخوف من رب العالمين !

كان ليهودى بئر بالمدينـة ، يبيع ماءها للمسلمين ، ويتحكم فيهم ؛ فطلب عثمان من اليهودى أن يبيعه هـذه البئر ، فأبى ؛ فراوده عثمان على أن يبيعه نصفها ، فقبل اليهودى على أن يكون ثمن النصف اثنى عشر ألف درهم ، فأعطاها له عثمان وأخذ نصف البئر ، واتفق معه على أن كلا منهما يستسقى منها يوما . وأباح عثمان للمسلمين أن يستسقوا من البئر فى اليوم المحدد له ، وأن يأخـذوا كفايتهم لليوم التالى . فلما رأى اليهودى ذلك ، وأنه لم يعد أحد يشترى منه ماء بعد ، باع النصف الباقى لعثمان بثمانية آلاف درهم .

فلم يأخذ عثمان البئر من اليهودى بالقوة ، ولم يجبره على بيعها ، ولم يتملكها منه بثمن أقل من ثمن مثلها . وإنك لتلمس من هذا شدة شفقته بالمسلمين ، واهتمامه بأمرهم ، وبذله المال عن طيب خاطر لمساعدتهم . كما تلمح من خلاله الحزم والفطانة وسعة الحيلة ؛ فقد اشترى النصف الأول بثمن مرتفع ، وكان ذلك سبباً فى أن يبيع الرجل النصف الثانى بثمن معتدل .

حدثت فى بلاد العرب مجاعة فى خلافة أبى بكر ؛ وعلم التجار أن ألف جمل لعثمان جاءت من الشام ذات يوم ، تحمل قمحاً وزبيباً وزيتاً ؛ فأرادوا أن يشتروا منه هذه البضاعة ليبيعوها للمسلمين ؛ وعرضوا عليه قدر ثمنها خمس مرات ؛ فامتنع وقال لهم : إن الحسنة بعشر أمثالها ؛ وإن الله تعالى قد أعطانى قدر ثمنها عشر مرات ، ثم أمر بتوزيعها على الفقراء والمساكين .

وفضلا عن ذلك فقد جهز جيش العسرة إلى تبوك ، وأنفق فى ذلك عشر آلاف دينار ، وجهز ألف مجاهد وأعدلهم تسعمائة بعير ، ومائة فرس . ولم تمر به جمعة منذ أسلم إلا ويعتق فيها رقبة .

فهل رأينا كرما وعدلا وزهدا وسماحة وراء هذا ؟ يعرض عليه فى هذا الوقت العصيب مقدار قيمة التجارة خمس مرات فتأبى نفسه العالية إلا أن يوزعها على المحتاجين ابتغاء وجه الله ، وطلبا لرضوانه . ويجود وقت الأزمة الشديدة بماله فى منفعة المسلمين ونصر الدين ، بدون أن يطلب منه أحد أو يلجئه ملجىء ، سوى ضميره النقى ، وحبه لهذا الدين الإسلامى العظيم .

كان يقوم للصلاة مرارا بالليل وقبيل الفجر ، ويعد وضوءه بنفسه ، ولا يوقظ أحدا من أهله أو خدمه . فقيل له : إذا شئت أيقظت بعض الخدم فيقومون بما تحتاج إليه ، وليس عليهم فى ذلك حرج . فقال : لا أفعل ذلك أبدا ؛ الليل لهم يستريحون فيه .

هذا عدل واسع ، ورحمة كبيرة ، وشفقة عظيمة ، ورأفة نادرة ، وتواضع لا نظير له .

وصفوة القول فى عثمان : أنه خليفة جواد سمح كريم ، ولين هين عادل سهل حليم ، جمع أشتات الفضائل وحميد الخصال ، وضربت بحياته الوافر الأمثال . رضى الله تعالى عنه وأرضاه !

منزلة السنة من الدين

وضرورة العمل بها والإنكار على من ردها

لحضرة الأستاذ محمد فؤاد افندى عبد الباقى

الفصل الأول — المقياس الصحيح للحديث :

يقول بعض المؤلفين :

إن خير مقياس يقاس به الحديث وتقاس به سائر الأنباء التى ذكرت عن النبي ، ما روى عنه عليه السلام أنه قال : « إنكم ستختلفون من بعدى ، فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فمنى ، وماخالفه فليس عنى » .

وهذا مقياس دقيق أخذ به أئمة المسلمين منذ العصور الأولى ، وما زال المفكرون منهم يأخذون به الى يومنا الحاضر .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثانى :

فلننظر فى مقدار ما فى هذا الحكم من صحة .

قال الامام الشوكانى فى كتابه « إرشاد الفحول الى تحقيق الحق فى علم الأصول » ص ٣١ :

. . . وأما ما يروى من طريق ثوبان فى الأمر بعرض الأحاديث على القرآن ، فقال يحيي بن معين : إنه موضوع وضعته الزنادقة .

وقال الشافعى : ما رواه أحد عمن يثبت حديثه فى شىء صغير ولا كبير (صوابه : صغر أو كبر) .

وقال ابن عبدالبر فى كتاب جامع العلم : قال عبد الرحمن بن مهدى : الزنادقة والخوارج وضعوا حديث « ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فان وافق كتاب الله فأنا قلته ، وإن خالف فلم أقله » اهـ .

وجاء فى كتاب جامع بيان العلم لابن عبد البر ج ٢ ص ١٩٠ :

قال عبد الرحمن بن مهدى : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث ، يعنى ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فان وافق كتاب الله فأنا قلته ، وإن خالف كتاب الله فلم أقله ، وإنما أنا موافق كتاب الله ، وبه هدانى الله » .

وهذه الألفاظ لا تصح عنه صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه . اهـ .

وجاء فى الرسالة للامام الشافعى ص ٢٢٤ .

قال قائل : أفتجد حجة على من روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ماجاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته ، وما خالفه فلم أقله »؟

فقلت له : ما روى هذا أحد يثبت حديثه فى شىء صغر ولا كبر .

وهذه أيضا رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية فى شىء . اهـ .

وجاء فى الحاشية بقلم الأستاذ أحمد محمد شاكر :

هذا المعنى لم يرد فيه حديث صحيح ولا حسن ، بل وردت فيه ألفاظ كثيرة كلها موضوع ، أو بالغ الغاية فى الضعف حتى لا يصلح شىء منها للاحتجاج أو الاستشهاد .

قال فى عون المعبود (٤ : ٣٢٩) : فأما ما رواه بعضهم أنه قال : إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافقه فخذوه ... فانه حديث باطل لا أصل له ، وقد حكى زكريا الساجى عن يحى بن معين أنه قال : هذا حديث وضعته الزنادقة .

ونقل العلامة الفتنى فى تذكرة الموضوعات (ص ٢٨) عن الخطابى أنه قال أيضا : « وضعته الزنادقة » .

ونقل هو والعجلونى فى كشف الخفا (١ : ٨٦) عن الصغانى أنه قال : هو موضوع .

وقد كتب الامام الحافظ أبو محمد بن حزم ، فى هذا المعنى فصلا نفيسا جدا، فى كتاب الأحكام (٢ : ٧٦ — ٨٢) وروى بعض ألفاظ هذا الحديث المكذوب ، وأبان عن علتها فشفى . ومما قال فيه :

« ولو أن امرءاً قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا فى القرآن لكان كافرا بإجماع الأمة ، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل ، وأخرى عند العجز ؛ لأن ذلك أقل ما يقع عليه اسم الصلاة ، ولا حد للأكثر فى ذلك ؛ وقائل هذا كافر ، مشرك ، حلال الدم والمال » .

ثم قال « ولو أن امرءاً لا يأخذ إلا بما اجتمعت عليه الأمة فقط ، أو يترك كل ما اختلفوا فيه ؛ مما قد جاءت فيه النصوص ، لكان فاسقا بإجماع الأمة. فهاتان المقدمتان توجبان بالضرورة الأخذ بالنقل » اهـ .

الفصل الثالث ـ نقض هذا المقياس ـ قال الامام الشوكانى فى « إرشاد الفحول » ص ٣١ :

وقد عارض حديث العرض قوم فقالوا : « وعرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله نخالف ، لأنا وجدنا فى كتاب الله : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٥٩ / الحشر / ٧) ووجدنا فيه أيضا : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » (٣/ آل عمران / ٣١) . ووجدنا فيه : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٤ / النساء / ٨٠) اهـ .

الفصل الرابع — فرض الله طاعة رسوله فيما سنه صلى الله عليه وسلم

قال الامام الشافعى فى الرسالة ص ٧٣ :

بيان فرض الله فى كتابه اتباع نبيه :

قال الشافعى : وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذى أبان جل ثناؤه أنه جعله علما لدينه بما افترض من طاعته وحرم من معصيته ، وأبان من فضيلته ، بما قرن من الايمان برسوله مع الايمان به . فقال تبارك وتعالى : « فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه

لعلكم تهتدون » (٧ / الأعراف / ١٥٨) وقال : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » (٢٤ / النور / ٦٢) فجعل كمال ابتداء الايمان ، الذى ما سواه تبع له ، الإيمانَ بالله ثم برسوله ، فلو آمن عبدٌ به ، ولم يؤمن برسوله ، لم يقع عليه اسم كمال الايمان أبداً ، حتى يؤمنَ برسوله معه ؛ وهكذا سن رسول الله فى كل من امتحنه للايمان .

أخبرنا مالك عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم قال : أتيت رسول الله بجارية ، فقلت يا رسول الله علىّ رقبة أفأعتقها ؟ فقال لها رسول الله : أين الله ؟ فقالت : فى السماء ، فقال : ومن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : فأعتقها اه .

الفصل الخامس — منزلة السنة من الدين :

قال ابن عبد البر فى كتابه « جامع بيان العلم وفضله » جزء ثان ص ٣٣ و ٣٤ :

« وأما أصول العلم ، فالكتاب والسنة ، وتنقسم السنة قسمين : أحدهما إجماع تنقله الكافة عن الكافة ، فهذا من الحجج القاطعة للأعذار إذا لم يوجد هناك خلاف ، ومن رد إجماعهم فقد رد نصا من نصوص الله يجب استتابته عليه ، وإراقة دمه إن لم يتب ، لخروجه عما أجمع عليه المسلمون ، وسلوكه غير سبيل جميعهم .

والضرب الثانى من السنة ، خبر الآحاد الثقات الأثبات المتصل الإسناد ، فهذا يوجب العمل عند جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقدوة ، ومنهم من يقول : إنه يوجب العلم والعمل جميعا اه .

جاء فى « إرشاد الفحول » للامام الشوكانى ص ٣١ :

قال فى معنى كلمة السنة : وأما معناها شرعا ، أى فى اصطلاح أهل الشرع ، فهى قول النبى صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره . وتطلق بالمعنى العام على الواجب وغيره ، فى عرف أهل اللغة والحديث اه .

وقال فى « استقلال السنة النبوية بالتشريع » :

« البحث الثانى » : اعلم أنه قداتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام ، وأنها كالقرآن ، فى تحليل الحلال وتحريم الحرام . وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ألا وإنى أوتيت القرآن ومثله معه » ، أى أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التى لم ينطق بها القرآن ، وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية ، وتحريم كل ذى ناب من السباع ، ومخلب من الطير ، وغير ذلك مما لم يأت عليه الحصر . اهـ .

وجاء فى سنن أبى داود ٣٩ كتاب السنة ٥ باب لزوم السنة جزء رابع ص ٢٠٠

حدثنا عبد الوهاب بن نجدة ، حدثنا أبو عمرو بن كثير بن دينار ، عن حريز بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن أبى عوف ، عن المقدام بن معديكرب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . ألا يحل لكم لحم الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السبع ، ولا لقطة معاهد ، إلا أن يستغنى عنها صاحبها . ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه فله أن يُعقبهم بمثل قراه .

حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل وعبد الله بن محمد النفيلى ، قالا : حدثنا سفيان ، عن أبى النضر ، عن عبيد الله بن أبى رافع ، عن أبيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا ندرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » اهـ .

وجاء فى جامع الترمذى ٩٣ ـ كتاب العلم ١٠ باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبى صلى الله عليه وسلم . جزء ثان ص ١١٠

حدثنا قتيبة حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر وسالم أبى النضر عن عبيد الله بن أبى رافع عن أبى رافع وغيره رفعه قال « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه . (قال أبو عيسى) : هذا حديث حسن صحيح .

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، حدثنا معاوية بن صالح عن الحسن بن جابر اللخمي عن المقدام بن معد يكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكيء على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه ، وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله » اهـ .

وجاء فى سنن ابن ماجه . المقدمة ٢ — باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه . الجزء الاول ص ٥ .

« حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح ، حدثنى الحسن بن جابر عن المقدام بن معد يكرب الكندى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله » .

حدثنا نصر بن على الجهضمي ، حدثنا سفيان بن عيينة فى بيته أنا سألته عنه عن سالم أبى النضر ، ثم مر فى الحديث قال ، أو زيد بن أسلم ، عن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول لا أدرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » . اهـ .

بين معاوية ووالديه

لما قدم معاوية من الشام ، وكان عمر قد ولاه عليها ، دخل على أمه هند ، فقالت له : يابنى إنه قلما ولدت حرة مثلك ، وقد ولاك هذا الرجل فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته . ثم دخل معاوية على أبيه أبى سفيان فقال له : يا بنى إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخرنا ، فصرنا أتباعا وصاروا قادة ، وقد قلدوك جسيما من أمرهم ، فلا تخالفن أمرهم فانك تجرى إلى أمد لم تبلغه ، ولو قد بلغته لتنفست فيه . قال معاوية : فعجبت من اتفاقهما .

الفن القصصى فى القرآن

أرسل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود أبو العيون السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية الكتاب التالى إلى حضرة صاحب العزة عميد كلية الآداب عبد الوهاب عزام بك .

الجامع الأزهر

مكتب السكرتير العام

حضرة صاحب العزة الصديق الكريم ، والمجاهد المفضال ، الدكتور عبد الوهاب عزام بك عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

السلام عليكم ورحمة الله . وقد ترامى إلى سمعى عن طريق الصحف والمجلات ، وأحاديث الأفراد والجماعات ، أن رسالة قدمت إلى الكلية من حضرة محمد أحمد خلف الله أفندى المدرس بالكلية لنيل درجة « الدكتوراه » وموضوعها « الفن القصصى فى القرآن » .

وقد أحيطت هذه الرسالة بإشاعات وشبهات تمس قداسة القرآن وصميم الاسلام ، وهي — لو صحت — تستوجب التأديب والعقاب . وقد رأيت أن أكتب اليك — وأنت الرجل الغيور على دينه ، المعروف بماضيه المشرف فى خدمة الاسلام وعقائد المسلمين — لكى تبادر بدراسة هذا الموضوع دراسة وافية . فاذا رأيت فيه مايستوجب مجازاة أو عقابا قمت به وأبنت للناس عنه ، حتى يكون ذلك عظة وعبرة ؛ وإن لم تر فى الموضوع ما يستحق هذه الضجة أصدرت للناس بذلك بيانا تقطع به قول كل قائل .

وإنه ليهمنى أن أقف على حقيقة هذا الموضوع ، فمن أخطر الأمور أن تتعرض قداسة القرآن وكرامة العقائد لمثل هذه التخرصات .

وفى انتظار تصرفك الحكيم أهدى إلى عزة الصديق المفضال أخلص التحيات .

السكرتير العام

للجامع الأزهر والمعاهد الدينية

محمود أبو العيون

فورد لحضرة صاحب الفضيلة السكرتير العام للازهر هذا الجواب من حضرة صاحب العزة عبد الوهاب عزام بك .

سيدى صاحب الفضيلة العلامة الشيخ محمود أبو العيون ،

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد ، فقد جاءت رسالتكم الكريمة ، فتلقيتها شاكرا لكم تفضلكم بالكتابة إلى فى أمر الرسالة التى سمعتم عنها .

وحقيقة الأمر أن طالبا قدم رسالة عن القصص فى القرآن لينال بها درجة دكتور ، فردتها لجنة الفحص . فهى رسالة بين طالب وأساتذته عرض عليهم رأيه فعرّفوه خطأه ، كما يسأل التلميذ أستاذه ، أو يعرض عليه ما بدا له من مسألة مسترشدا . فلم تنشر الرسالة ، ولم تخرج من دائرة البحث والاستفهام ، حتى تصلح أن تكون موضع مناقشة أو مؤاخذة .

وكاتب الرسالة فيما أعرف عنه وكما يبدو من كتابته ، شاب مسلم قصد أن يدفع عن القرآن الكريم بعض شبه الملاحدة أو رجال الأديان الأخرى ، وحاد به اجتهاده عن سواء السبيل .

وأنتم تعلمون غيرتى وغيرة زملائى من أساتذة قسم اللغة العربية على الدين وعلى الكتاب المبين ، الذى تطمئن اليه قلوبنا ، وتحفظه صدورنا ، وتتلوه ألسنتنا ، وهو حجة تاريخنا ومفخرة لغتنا ، بل حجة الله البالغة ، وكتابه المجيد .

وأرى أن الأمر لا يعدو أن يكون غلط تلميذ اجتهد وأحسن النية . فرُد عليه رأيه ولم يؤذن له أن ينشر هذا الرأى ، أو يتقدم بهذا الكتاب للامتحان .

ولو كان فى الأمر غير هذا لكنا عند ظنكم فى المؤاخذة والمجازاة ، وعند واجبنا فى المحافظة على كرامة القرآن ، وحرمة الاسلام .

وأنا أسأل الله أن يهيىء لنا من أمرنا رشدا ، ويرزقنا السداد فى الفكر والقول والفعل .

والسلام عليكم من المحب المخلص .

عبد الوهاب عزام

٦ ذى الحجة ١٣٦٦

٢٠ / ١٠ / ١٩٤٧

مذكرة

مرفوعة من جبهة علماء الأزهر

الى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، ثم الى جهات الاختصاص
فى الدولة المصرية وإلى الرأى الاسلامى العام .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب . . . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد، فان جبهة علماء الأزهر ترفع الى مقامكم الكريم تحياتها بالغة سابغة ، وتستأذنكم فى الحديث مرة ثانية عن الرسالة التى تقدم بها محمد أحمد خلف الله افندى المعيد بكلية الآداب ليحصل على درجة دكتوراه ، طاعنا فى القرآن الكريم بأن فيه قصصا غير صادق ، وبأن فيه تناقضا ، وبأنه مستمد من التوراة والانجيل والاسرائيليات وأدب الفرس واليونان ، وبأنه كلام فنان تأثر بالعواطف وسبح مع الخيال واقتبس من الأساطير . ومعنى هذا أن القرآن كلام محمد القصصى الفنان ، لا كلام الله المنزه عن المشابهة والحدثان . ولقد ظاهره على هذا الزور والبهتان ، أستاذه المشرف على رسالته الأستاذ أمين الخولى .

ولقد التمسنا إجراء تحقيق عاجل عادل ، وتوقيع عقوبة رادعة بالرجلين إن صح الخبر . لكن مضت أيام طويلة لم نظفر فيها بطائل ، ولم يجر فيها تحقيق على ما نعلم ، حتى بتنا وبات الرأى الاسلامى العام يتململ من الإغضاء على هذا القذى ، كأن دين الله لا خطر له ، وكأن كتابه أسطورة لا بأس أن يخوض فيها من شاء بما شاء لا يسأل عما يفعل ! ! .

أمر عجب

ومن عجب أن جريدة الاخوان المسلمين طلعت علينا صبيحة يوم عيد الأضحى من هذا العام ، وفيها كلمة لعميد كلية الآداب سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك ، يعترف فيها بخطأ صاحب الرسالة ، ثم يعترف بأن لجنة الفحص قد حكمت بخطئه ؛ لكن سعادته حاول بعد ذلك أن يهون الأمر ، وأن يجعل هذا الجبل الشامخ من الكفر والجهل أصغر من الذر ، فقال : « وحقيقة الأمر أن طالبا قدم رسالة عن القصص فى القرآن لينال بها لقب دكتور ، فردتها لجنة الفحص ، فهى رسالة بين طالب وأساتذته ، عرض عليهم رأيه فعرفوه خطأه ، كما يسأل التلميذ أستاذه أو يعرض عليه ما بدا له فى مسألة مسترشدا ؛ فلم تنشر الرسالة ولم تخرج من دائرة البحث والاستفهام حتى تصلح أن تكون موضع مناقشة أو مؤاخذة » . ثم زاد سعادة العميد فزكى صاحب الرسالة وقال : « إنه شاب مسلم قصد أن يدفع عن القرآن الكريم بعض شبه الملاحدة وأحسن النية » . ثم قال « وأرى أن الأمر لا يعدو أن يكون غلط تلميذ اجتهد وأحسن النية » .

ولا ريب أن كلام هذا العميد يفيد أن صاحب الرسالة تلميذ لا معيد ، وأن مثله مثل سائل مستفهم مسترشد ، لا واضع رسالة قاصد متعمد ، يدافع عنها بكل ما أوتى من قوة مع سبق الاصرار والترصد !! . ويوهم كلام العميد فوق ذلك أن شأن هذا الذى سماه تلميذا شأن المجتهد إذا أخطأ وهو حسن النية ، فله أجر وليس عليه وزر !! . أجل ، بمثل هذا الاستخفاف قضى أو حاول أن يقضى عميد الآداب ، فى أكبر جريمة من جرائم الإلحاد والجهل والخروج على الآداب .

ولقد كان الأجدر بل كان الواجب على سعادة العميد وهو يجنح الى المجاملة ، أن يجامل الحق والاسلام والشعب المسلم وصالح الطلاب والكلية التى هو مسؤول عنها بين يدى الله والتاريخ ، لا سيما أنه عالم مسلم نسل من بيت إسلام وعلم .

معالم الجريمة

ولقد كنا نتمنى أن نطوى نحن المسألة كما أراد أن يطويها العميد ، لكن على أساس شريف حازم من التوبة والإنابة وإعلان الرجوع الى الحق من صاحب الرسالة وقائده ، أما بعد هذا الاصرار والعناد والمراوغة والافتراء على مرأى ومسمع من الجمهور المسلم وغير المسلم ، فاننا نرى الأمر جد خطير على نحو ما شرحنا فى مذكرتنا السابقة ، خصوصا أن معالم الجريمه قد بدت للعيان ماثلة ، ودم القتيل قد جرت به أنهار الصحف والمجلات ، على رغم المراوغة وبذل الجهد فى إخفاء المعالم وطمس الحقائق !

١ — فها هو الأستاذ أحمد أمين بك أحد أعضاء لجنة فحص الرسالة ، قد نشر تقريره محرراً مبرهناً بنصوص وفقرات من نفس الرسالة ، وإذا هو يسجل كفر صاحبها وجهله عدة مرات لا مرة واحدة ، على وجه لا يختلف فيه منصفان .

٢ — وها هو الأستاذ أحمد الشايب وهو أحد أعضاء لجنة فحص الرسالة أيضا ، قد أخرج تقريره وفيه ما فى تقرير الأستاذ أحمد أمين بك ، بل زاد عليه وأسهب ، وكان أعنف فى حكمه وأشد !

٣ — وها هو صاحب الرسالة نفسه ، قد حاول جاهداً أن ينزل الميدان ويدافع عن نفسه فخانته قواه ، ولاذ بالفرار ، وتهرب من أن يمس موضوع الاتهام ، ولم يستطع أن ينفى شيئا مما سجله عليه أستاذاه اللذان فحصا رسالته ، بل أخذ يتخبط فى الظلمات ، فكتب مرة فى معنى الأسطورة كتابة مبتورة ، وسب مرة أخرى أستاذه الشايب سباً قذراً لا يليق بأقل طالب فضلا عن عميد فى كلية الآداب . ثم تعلق بأذيال حرية الرأى غير فارق بين الحرية والكفر ، وتمسح بأعتاب الأستاذين الكبيرين الشيخ عبد المجيد سليم والشيخ محمود شلتوت ، فافترى عليهما أنهما أفتيا بما يفيد أنه مجتهد مأجور ، لكن هذا الافتراء لم يغن عنه شيئا ، فقد فضحه الشيخان ، وتبرآ من هذا الذى نسبه إليهما .

والى هنا ثبت بوضوح أن صاحب الرسالة قد جمع بين الكفر والجهل والوقاحة والافتراء والعناد ، وهى جرائم تكفى الواحدة منها لعقوبته وإقصائه عن مكانه فى كلية الآداب !! .

فرية الاجتهاد

أما القول بأنه مجتهد أخطأ فهو قول هزل ، لأن المسألة ليست مسألة اجتهادية ، كيف وموضوعها عقيدة من العقائد الأولية فى الاسلام ، وقد تضافرت عليها قواطع الأدلة واستفاضت بين الخواص والعوام . ألا ترى أن كون القرآن كلام الله لا كلام محمد ، وكونه حقا لا باطل فيه وصدقا لا كذب فى قصة من قصصه ولا فى خبر من أخباره ، وكونه وحيا يوحى أنزله الذى يعلم السر وأخفى من مماء الغيب ، لا استمداداً من الاسرائيليات والأساطير وأدب الفرس واليونان . نقول : ألا ترى أن كل أولئك أمور تناولتها نصوص الكتاب والسنة وانعقد عليها الاجماع ، واستفاضت بين المسلمين جيلا بعد جيل من عهد نزول القرآن الى اليوم ، لا يمارى فى ذلك إلا جهول أو جحود ، حتى أصبحت هذه العقيدة من المعلوم من الدين بالضرورة . وذلك لا محالة يخرج موضوع الإجرام هنا عن أن يكون محل اجتهاد ، ويخرج بصاحب الرسالة عن أن يكون مجتهدا مأجورا ، الى أن يكون مجرما مرتداً مأزوراً !! ومن القواعد المشهورة بين الأصوليين ، أنه لا اجتهاد فى مقابلة النص ، وأنه لا يجوز الاجتهاد فيما قام عليه الاجماع ، أو علم من الدين بالضرورة .

الأستاذ أمين الخولى

يبقى الكلام على الأستاذ أمين الخولى ، وما أدراك ما الأستاذ أمين الخولى ؟ إنه الركن الأول فى هذه الجريمة . هو الذى تولى كبرها ، وقد اعترف ضمنا فى جريدة أخبار اليوم (١ - ١١ - ١٩٤٧) بأنه هو الذى غرر بتلميذه خلف الله وأغراه على ما أجرم ، وأشرف عليه وهو يرتكب الجريمة ، ثم حاول حمايته وتأييده والدفاع عنه بعد ارتكابها ، هازئا بمقدسات الاسلام ومقرراته العلمية ، ساخراً من موقف جبهة علماء الأزهر وفضيلة المفتى السابق ، وأسمى

الرأى الاسلامى العام فى هـذا الموضوع بأنه ضجيج عامى أهوج ، متقولا على المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده مالم يقل ، متهاونا بمقامه فى كلية الآداب كأستاذ ، وبمقام زميليه اللذين فحصا الرسالة كأستاذين جليلين ، وبمقام العميد الذى أعلن خطأ صاحب الرسالة كرئيس عظيم . بل لقد أسرف الأستاذ الخولى واشتط فأعلن إصراره على هذا الإلحاد بصورة التحدى لمصر والشرق كله إذ قال : « لو لم يبق فى مصر والشرق كلـه أحـد يقول إنه حـق ، لقلت وحدى وأنا أقذف فى النار : إنه حق حق » ! ! .

أما بعد

فأننا نرجو فى دينـكم وغـيرتكم أن تتفضلوا فتعملوا على تحقيق ما يأتى فى سرعة ، غسلا للاهانة التى لحقت الدين والعلم والأزهر والجـامعة والأمة الاسلامية كلها :

١ — تحويل الرسالة إلى فضيلة مفتى مصر الأكبر ، ليقضى فيها من ناحية الدين ، باعتباره جهة الاختصاص .

٢ — عقد جماعة كبار العلماء لمناقشة الأستاذ أمين الخولى (باعتباره عالما) فيما نسب إليه من تأييد مافى الرسالة ، وفيما نشره بجريدة أخبار اليوم .

٣ — إيقاف الأستاذ أمين الخولى ومحمد احمد خلف الله أفندى عن عملهما ، حتى يفصل فى أمرهما .

٤ — عدم تجديد عضوية الأستاذ أمين الخولى بمجلس إدارة كلية أصول الدين .

٥ — تطهير الجامعة والمدارس فى مصر من كل ضليل ملحد .

٦ — تصحيح الأوضاع وإسناد تدريس المواد الدينية والعربية إلى أساتذة أمناء على دينهم وعلمهم وتلامذتهم ووطنهم .

وذلك أضعف الايمـان

ذلك أقل ما يجب فى مثل هـذا الحـادث الجلل ، وإلا فحـكم الإسـلام على المرتدين معروف . وإن مصر الاسلامية بل زعيمة الأمم الإسـلامية ،

لا يصح أن تكون بعد اليوم مباءة للالحاد والملاحدة ، وفيها الوعى الدينى قد تنبه وتيقظ ، وفيها الأزهر المعمور قد ثار للمدوان على الاسلام وتغيظ ، وعلى رأسها ملك صالح مسلم يعرف كيف يقود السفين ويحمى العرين .

« والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل » .

وتفضلوا بقبول موفور التحية والاجلال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

فى ١٩ / ١٢ / ١٣٦٦ هـ — ٢ / ١١ / ١٩٤٧م

الأمين العام للجبهة	رئيس الجبهة
محمد عبد العظيم الزرقانى	محمد الشربينى
الأستاذ بكلية أصول الدين	عضو جماعة كبار العلماء

عمر ومعاوية

قال يزيد بن معاوية : حدثنى أبى أن عمر بن الخطاب لما قدم الشام ، قدم على حمار ، ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار ، فتلقاهما معاوية فى موكب ثقيل ، فجاوز عمر حتى أخبر ، فرجع إليه . فلما قرب منه نزل إليه ، فأعرض عنه عمر ، فجعل يمشى الى جنبه راجلا ، فقال عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل ! فأقبل عليه الفاروق وقال له : يامعاوية أنت صاحب الموكب آنفا مع ما بلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين . قال ولم ذاك ؟ قال : لأنا فى بلد لا نمتنع فيها من جواسيس العدو ، ولا بد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان ، فان أمرتنى بذلك أقمت عليه ، وإن نهيتنى عنه انتهيت . فقال عمر : لئن كان الذى تقول حقا فانه رأى أريب ، وإن كان باطلا فإنها خدعة أديب . وما آمرك به ولا أنهاك عنه .

فقال عبد الرحمن بن عوف : لحسن ما صدر هذا الفتى عما أوردته فيه . فقال عمر : مصادره جشمناه ما جشمناه .

الاسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا

لحضرة الأستاذ الدكتور محمود حب الله

مبعوث الأزهر الى شرق إفريقية

دراسات عامة

الحالة الاجتماعية

تتكون بلاد إفريقيا الشرقية من أربع مقاطعات : كينيا ، وتنجانيقا ، ويوغندة ، وبلاد الزنجبار ، وهي إما مستعمرات انكليزية أو تحت الانتداب الانكليزى ، ويسكنها ما يقرب من ستة عشر مليونا من الأنفس ، ومن هؤلاء من يعتبر من السكان الأصليين ، ومنهم النازحون الذين انحدروا اليها من أقطار متعددة وأمم متباينة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ — السكان :

(١) فهناك الأوربيون أو البيض ، وهم الطبقة الحاكمة والمتمتعة بكثير من الامتيازات ؛ فلكل أوروبى مركز ممتاز ، وعليه واجبات وقيود يقصد بها الاحتفاظ بكرامته وبمركزه الممتاز . فلهم أحياء خاصة ، وفنادق خاصة ، ومرافق خاصة ، لا يسمح لغيرهم أن يطرقها ، ولا يصح لواحد منهم أن يسافر فى الدرجة الثالثة ، لأنه لا يصح أن يكون شعبيا . والحد الفاصل الذى يضع الشخص فى هذه الناحية أو فى تلك الناحية هو اللون ، حتى يتبين خلافه . ويسكن هؤلاء المدن عادة إلا المبشرين منهم فانهم متغلغلون فى طول البلاد وعرضها .

(٢) وهناك الهنود النازحون من الهند وسيلان ، وهم جماعات شتى وطوائف متعددة ، وأديان مختلفة ؛ شأنهم فى ذلك شأن الهند نفسها . وهم

متغلغلون فى البلاد أيضا ، غير أنهم لا يتزاوجون مع الوطنيين . وهذا هو السر فى احتفاظهم بلغاتهم الأصلية ، على الرغم من طول مكثهم هناك .

(٣) وهناك العرب الذين نزحوا ولا يزالون ينزحون من جزيرة العرب ، وخاصة من عمان وحضرموت وعدن ومسقط . وهم متغلغلون فى البلاد كلها أيضا ، فتجدهم على قلتهم ، فى المدن وفى القرى وفى الغابات . وهم يندمجون مع الوطنيين ويتزوجون منهم . وهذا هو السر فى أن كثيرا منهم نسى لغته الأصلية واستبدل بها اللغة الوطنية ؛ ولكنه نال نظير ذلك إسلام الوطنيين .

(٤) وهناك الوطنيون الأصليون ، وهم أكثرية البلاد .

وأما المسلمون من السكان فيقربون من أربعة ملايين من الأنفس ، وهم منتشرون فى البلاد كلها ؛ فتجدهم فى العواصم وفى القرى ، وعلى السواحل وفى داخل البلاد ، وهم طبعا أقلية فى كل مكان إلا فى بلاد الزنجبار ، فهم هناك يكادون يكونون كل السكان ، ولا يوجد بينهم إلا نفر قليل من غير المسلمين . وتعتبر بلاد الزنجبار المركز الرئيسى للاسلام هناك ، لا لأن سكانها مسلمون فحسب ، بل لأن سلطانها عربى مسلم أيضا ، ويدين له كل عرب إفريقيا الشرقية بالطاعة والولاء .

ب ـ الإدارة :

تحكم هذه المقاطعات كلها مباشرة أو عن طريق غير مباشر بالحكومة الانجليزية . وليس لغيرهم من السكان إلا سلطان محدود حين يوجد .

فعلى الرغم من أن الهنود يحتلون مراكز اقتصادية ممتازة ، لا نجد لهم أثرا حقيقيا فى توجيه سياسة البلاد ، وكأنهم يخشون أن تضع الحكومة العراقيل فى وجوههم وتسد عليهم أبواب الرزق أو تخرجهم من البلاد إذا ما أظهروا شيئا من التذمر ؛ ولهذا فهم يظهرون أنهم راضون بما يسود هناك من أوضاع . ولكن هل هذا هو الحقيقة ؟ .

وليس العرب بأحسن حظا من الهنود فى تلك الناحية ؛ فليس لهم رأى حقيقى فى توجيه سياسة البلاد أيضا . وعلى الرغم من ذلك فهناك ولاة من العرب فى بعض البلاد ؛ وهناك مديرون منهم فى بلاد الزنجبار يساعدون السلطان فى إدارة البلاد .

وشأن الوطنيين فى ذلك شأن غيرهم ، مع أن منهم مديرين بيوغنده ، ومن بين هؤلاء مدير مسلم ، وهو الوحيد هناك منهم.

وهناك من المسلمين من يعين عضوا فى المجالس المحلية أو ينتخب فيها . ولكن الكلمة العليا هي فى النهاية لذى السلطان .

ج — القضاء :

والقضاء المدنى بجميع درجاته فى أيدى قضاة من الانجليز .

وأما القضاة الشرعى للمسلمين فهو ، حيث يوجد ، فى أيدى المسلمين . وسلطان القضاء منحصر فى المسائل الشرعية من زواج وطلاق وميراث. وأحيانا يتعدد القضاة الشرعيون فى البلد الواحد بتعدد الفرق . ولقد رأيت (١) فى بلاد الزنجبار قاضيا للاباضيين وآخر لأهل السنة ، وفى ممباسا قاضيين لأهل السنة . على أننى لم أر قضاة شرعيين فى غير هذين البلدين . ولقد عجبت ماذا يصنع المسلمون فى البلاد الأخرى حينما تعرض لهم مشاكل ، وبينهم وبين هذين البلدين مئات من الأميال . ولقد سألت هذا السؤال فوجدت إجابات استظهرت منها أن الناس يحلون مشاكلهم بأنفسهم ، أو بواسطة مجالس يختارونها هم ، أو بواسطة عرفاء المكاتب ما دام ذلك ممكنا ، وإلا فانهم يتجشمون مشاق الرحلة إلى أحد هذين البلدين .

الحالة الاقتصادية

تتمتع هذه البلاد ، على وجه عام ، بالرخاء ورغد العيش . وذلك لتوفر المحصولات بسبب كثرة الأمطار وقلة عدد السكان بالنسبة لاتساع الأرض

(١) وممن تشرفت بمعرفتهم السيد عمر بن سليط قاضى أهل السنة فى بلاد الزنجبار . وهو عالم ورع وزعيم مدرسة ومحبب إلى النفوس جميعا . ولقد شرفنى بأن لازمنى أثناء اقامتى ببلاد الزنجبار . وعرفت السيد محمد الأمين قاضى قضاة ممباسا ، وهو شافعى المذهب كالسيد عمر ، جليل القدر ، وله عدة مؤلفات باللغة الوطنية فى الرد على القاديانية . ولم أتشرف بمقابلته إلا مرتين زرته فى بيته الريفى الذى كان يمرض فيه .

المكسوة بالخضر والفواكه ، ولجودتها وخصوبتها . فتجد فى بلاد الزنجبار الكثير من القرنفل وجوز الهند ، وهما من المحاصيل الرئيسية ، غير أنهما يباعان بأبخس الأثمان ، وفيها معاصر لاستخراج زيت القرنفل . وهناك المانجة والأناناس والبرتقال والموز والبطيخ والذرة الشامية . وأثمانها بخسة جدا إذا ماقورنت بالأسعار فى مصر . ولكن ذلك لا يؤثر كثيرا على السكان ، لأن مجهودهم فى استخراج هذه المحصولات ضئيل . ويكاد أحيانا ينحصر فى جمع هذه المحصولات بعد أن يكون قد آن حصادها . وتجد فى كينيا ، عدا الكثير من هذا كله ، الشاى والأرز والقمح والشعير ، وتجد فى تنجانيقا الشاى والبن كذلك . وفى يوغندة كثير من البن والقطن وقصب السكر . وهناك محالج له ومصانع للسكر .

وعندهم ، عدا هذا ، كثير من المواد الخام الضرورية للصناعات . وتمدهم الغابات المترامية الأطراف بكثير من أجود أنواع الخشب . وأما الثروة الحيوانية فيوجد منها الكثير . فهناك الحيوانات الوحشية التى ينتفعون بجلودها وعظامها وأوبارها . والحيوانات الأليفة التى ينتفعون بلحومها كذلك . ولقد ساعدتهم كثرة المراعى على الإكثار من هذه الثروة ، وهى فى نمو مطرد .

وللبحيرات دخل كبير فى كثرة الأمطار التى جعلت هذه البلاد جميعها تبدو كأنها حقل واحد مكسو وجهه بالخضر . وتمدهم البحيرات أيضا بثروات أخرى مثل السمك والتماسيح . وهذه هي البحيرات التى تمد النيل بمائه ، ومنها بحيرة فيكتوريا الواقعة فى يوغندة ، وهي من أكبر البحيرات التى تمد النيل . ولقد سمعت بهذه المناسبة ، أن حكومة يوغندة تفكر جديا فى التحكم فى ماء تلك البحيرة . وذلك ببناء خزان عند جنجا ليستغل فى توليد الكهرباء من مساقط الماء هناك . وإذا تم هذا المشروع وضبطت مياه البحيرة فماذا يكون الشأن بالنسبة لمصر ؟ هل ستدفع النواحى الانسانية حكومة يوغندة إلى أن تترك المياه تجرى فى مجاريها الطبيعية ، أو أنها ستعمد إلى تهديد مصر وإلى مساومتها ؟ ذلك ما يجب أن نتنبه له وأن نفكر فيه .

« يتبع »

الجانب الالهى من التفكير الاسلامى

هذا كتاب جليل قدره ، عظيمة فائدته ، طريف موضوعه . قام بتأليفه حضرة الأستاذ الألمعى الدكتور محمد البهى مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين . واسمه يدل على المجهود المضنى الذى يقتضيه إبراز مثل هذا العمل الفذ فى اللغة العربية . ومجرد استكمال المراجع العربية التى اعتمد ، ونقل ملاحظات قيمة منها ، يدل وحده على مبلغ ما عاناه الاستاذ المؤلف من الجهد الجاهد ، فى سبيل إقامة هذا الصرح الفلسفى فى أدق المواضيع وأحوجها للعناية والتدقيق .

الكتاب الذى نذكره الآن هو القسم الثانى من كتاب « الجانب الالهى من التفكير الاسلامى » ، وهو كما قال المؤلف : « يعرض موقف فلاسفة المسلمين فى الشرق من التراث العقلى الاغريقى فيما وراء الطبيعة ...

ولأجل الوصول الى هذه الغاية « يذكر آراء المدارس الفلسفية فى الوجود وأصله وما ينتهى إليه ، ورأى هؤلاء الفلاسفة فيه ، ويوضح أن رأيهم فى تصورهم الوجود ، وتصويرهم له ، يتمثل فى التوفيق بين الدين والفلسفة ، أكثر من أن يعبر عن بناء جديد فى التفكير الفلسفى فيما وراء الطبيعة » .

ثم شرع حضرة المؤلف الجليل فى خوض غمار هذه البحوث فذكر أولا موقف العقلية الاسلامية من الفلسفة الاغريقية . ثم سرد أسباب قبول المسلمين لهذه الفلسفة ، وبحوثهم فى التوفيق بين الدين والفلسفة . ثم ألم بمشكلة الوجود ، وذكر سبب اختلاف نظر الفلاسفة فيه ، وأتى على آراء البراهمة فيه ، وآراء الأغارقة ومنهم الايليون وأفلاطون وأرسطو والرواقيون ، وأضاف اليهم فلاسفة الأفلاطونية الحديثة كفلوطين وبرقلس الخ . ثم انتقل الى رأى القرآن فى الوجود ، وتوسع فى إيراد رأى الكندى ، والفارابى وابن سينا . وبعد هذا كله انتقل الى مسألة الاستدلال على واجب الوجود ، وجاء برأى توماس الاكفينى فى دليل الوجود ، ونقد (كانت) للادلة التقليدية على وجود الله ، ووحدانيته ، وعلى علم واجب الوجود .

فهذا خضم متلاطم الأمواج من البحوث ، استطاع ممثل النبوغ الأزهرى فى الفلسفة الحديثة أن يحصره فى ٢٩٢ صفحة حافلة بالنظرات القيمة ، والتعليقات الثمينة . فنثر على روضه النادر أطيب الثناء ، أكثر الله من أمثاله فى النبغاء .